

**موقف الفكر الاعتزالي  
من الشفاعة لأهل الكبائر**

**إعداد الدكتور**

**محمد رشدي إبراهيم**

**الأستاذ المساعد في قسم العقيدة والفلسفة**

**كلية البنات الإسلامية بأسسيوط**

**جامعة الأزهر**



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## موقف الفكر الاعتزالي من الشفاعة لأهل الكبائر

محمد رشدي إبراهيم

قسم العقيدة والفلسفة ، كلية البنات الإسلامية بأسسيوط ، جامعة الأزهر ، مصر .

البريد الإلكتروني: [m.roshdy77@azhar.edu.eg](mailto:m.roshdy77@azhar.edu.eg)

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان رأي فرقة المعتزلة في مسألة الشفاعة لأهل الكبائر ممن ماتوا على التوحيد، حيث إنهم يقفون منها موقف الإنكار والرفض؛ لاعتقادهم أنها متعلقة بأصل من أصولهم الخمسة؛ وهو الوعد والوعيد، ومن منطلق زعمهم أن مرتكبي الكبائر من المسلمين سيخلدون في النار، وادعائهم أن الشفاعة تكون فقط لمن تاب ورجع وليست للعصاة والفساق، وأنها تكون برفع الدرجات في الجنة؛ مستبدلين على رأيهم بأدلة وشبهات؛ لكن هناك ردوداً عديدة على بطلان تلك الأدلة والشبهات؛ ولا سيما وأن هذه المسألة هي مسألة عقديّة مهمة تتعلق بمصير ومآل العباد في اليوم الآخر، وتواترت على ثبوتها وحقيقتها الأدلة الكثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والعقل.

الكلمات المفتاحية للبحث: الكبائر، المعتزلة، أهل السنة، شبهات، الوعد والوعيد.

## The position of Mu'tazilite thought on intercession for those who commit major sins

By: Mohamed Rushdy Ibrahim

Department of Doctrine and Philosophy, Islamic Girls College, Assiut, Al-Azhar University, Egypt.

Email: m.roshdy77@azhar.edu.eg

abstract:

This study highlights the opinion of the Mu'tazila sect on the issue of intercession for those who commit major sins who died following monotheism, as it affirmed their position of denial and rejection. Because they believe that it is related to the origin of their five origins; It is the promise and the holiday, and those who claim that Muslims who commit major sins will live forever in hell, and their claim that pre-emption is only for those who repent and return to the disobedient and the rebellious, unless it is by raising the levels in Paradise; They support their opinion with evidence and suspicions. But there is a lot of evidence to support the accounts of these evidence and suspicions; Especially since this issue is an important doctrinal issue related to the fate and family of worship on the Day of Judgment, and there is much evidence of its proven and truth from the Holy Qur'an, the Sunnah of the Prophet, consensus, and reason.

**Keywords of the research:** major sins - Mu'tazila - Sunnis - doubts - promise and threat..

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين،  
أما بعد...

فإن مسألة الشفاعة تُعد من أهم وأبرز المسائل العقديّة والحقائق الإيمانية الغيبية، ومن أحوال الآخرة التي يجب الإيمان والتسليم بها؛ لثبوتها بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع؛ ولأنها متعلقة بالإيمان بالله تعالى؛ حيث إنها تفضل من الله ﷻ على عباده الموحدين، كما أنها تتعلق بالوعد والوعيد الذي هو أصل من أصول المعتزلة الخمسة؛ لكنها دارت حولها خلافات بين بعض الفرق الإسلامية، وتباينت آراؤهم تجاهها؛ ولا سيما شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر والعصاة من المسلمين ممن ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا؛ تلك الشفاعة التي تُعد من الخصائص التي اختص الله تعالى بها رسوله الكريم سيدنا محمداً ﷺ؛ فأثبتها أهل السنة والجماعة ومن تبعهم من أهل الحق، حيث أجمعوا على أن من أنواع الشفاعات الثابتة للنبي ﷺ شفاعته لأهل الكبائر من أمته، واستدلوا على رأيهم هذا بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، ونفاها المعتزلة ومن دار في فلکهم، وأولوا الآيات الدالة عليها بتأويلات بعيدة عن معناها الصحيح، وأنكروا الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة فيها؛ وادعوا أن الشفاعة لا تُقبل في أهل الكبائر والعصاة من أهل التوحيد؛ لأن رأي المعتزلة في مرتكب الكبيرة أنه في منزلة بين المنزلتين - بين الإيمان والكفر - في الحياة الدنيا، ومخلد في النار في الحياة

الآخرة، ونحا نحوهم في هذه الآونة الأخيرة البعض ممن أثاروا الشبهات حول الشفاعة والتشكيك فيها، ومن ثم كان لابد من الوقوف على العقيدة الصحيحة في هذه المسألة، وبيان مذاهب المنكرين لها كالمعتزلة ومناقشتهم والرد عليهم وإبطال الشبهات المثارة حول هذه المسألة.

وهذا ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع، ولقد سميت: **موقف الفكر الاعتزالي من الشفاعة لأهل**

**الكبائر.**

**وقسمته إلى:**

مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: في بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومحتوياته.

المبحث الأول: في التعريف بالمعتزلة.

المبحث الثاني: تعريف الشفاعة، وأقسامها:

المطلب الأول: تعريف الشفاعة.

المطلب الثاني: أقسام الشفاعة.

المبحث الثالث: رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر، وأدلتهم وشبهاتهم على ذلك:

المطلب الأول: رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر.

المطلب الثاني: أدلة المعتزلة وشبهاتهم على رأيهم في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر والرد

عليها.

المبحث الرابع: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، والدليل عليها.

الخاتمة: في أهم نتائج البحث.



## المبحث الأول

## التعريف بالاعتزلة

## أولاً: تعريف المعتزلة لغة:

المعتزلة مأخوذة لغة من الاعتزال؛ الذي يعني: المفارقة، والابتعاد، والانفراد، والانقطاع، والانفصال، والتنحي جانباً، جاء في لسان العرب ما يأتي: عزل: مأخوذ من عزل الشيء يعزله عزلاً وعزله فاعتزل وانعزل وتعزل: نحاه جانباً فتنحى، وقوله تعالى: (وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاغْتَبِلُونِ)<sup>(١)</sup>، أراد إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا عليّ ولا معي... والعزلة: الانعزال نفسه... واعتزلت القوم: أي فارقتهم وتنحيت عنهم<sup>(٢)</sup>.

## ثانياً: تعريف المعتزلة اصطلاحاً:

المعتزلة في الاصطلاح: اسم يُطلق على فرقة إسلامية كلامية نشأت في البصرة، في النصف الأول من القرن الثاني الهجري في أواخر العصر الأموي<sup>(٣)</sup> وازدهرت في العصر العباسي<sup>(٤)</sup>، وانتشرت حركتهم انتشاراً سريعاً؛ حتى إن قسماً كبيراً من نخبة المفكرين المسلمين قد انضوا

(١) سورة الدخان - الآية ٢١.

(٢) لسان العرب - للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري - المجلد الحادي عشر - ص ٤٤٠ - مادة (عزل) - ط دار صادر - بيروت.

(٣) يُعد بدء الدولة الأموية من تنازل الحسن بن علي عليه السلام، لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، في (مسكن) يوم ٢٥ ربيع الأول عام ٤١ هـ، واستمرت حتى معركة الزاب التي جرت بين العباسيين وأمويين، حيث هُزم مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين في ١١ جمادى الأولى عام ١٣٢ هـ. التاريخ الإسلامي - محمود شاكر - ج ٤ - العهد الأموي - ص ٥٣ - ط المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة السابعة - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٤) يُعد بدء الدولة العباسية من عام ١٣٢ هـ وحتى عام ٦٥٦ هـ؛ حيث وصل إلى ما يقرب من خمسة قرون وربع القرن. التاريخ الإسلامي - محمود شاكر - ج ٥ - الدولة العباسية (الجزء الأول) - ص ٧.

تحت لوائهم، وكانت بغداد عاصمة الدولة العباسية مقراً لمدرستهم، طيلة عهود عديدة<sup>(١)</sup>.  
والمعتزلة تُعد من أقدم وأبرز المدارس الفكرية والعقلية والكلامية المعروفة والمشهورة في  
الفكر الإسلامي، وتحتل مكانة كبيرة بين تلك المدارس.

### ثالثاً: سبب تسميتهم بالمعتزلة<sup>(٢)</sup>:

اختلفت الآراء وتباينت حول تسميتهم بالمعتزلة إلى آراء عديدة؛ منها ما يأتي:  
الرأي الأول: يذكر الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ - ١٠٥٣ م) أنه: دخل رجل على الحسن البصري  
(ت ١١٠ هـ - ٧٢٨ م) فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يُكفرون أصحاب الكبائر،  
والكبيرة عندهم كُفر يخرج به عن الملة... وجماعة يُرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا  
تضر مع الإيمان؛ بل العمل عندهم ليس ركنًا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع  
مع الكفر طاعة... فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقاداً؟  
فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب، قال واصل بن عطاء (ت ١٣١ هـ - ٧٤٨ م) وكان من  
تلاميذ الحسن: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً، ولا كافر مطلقاً، بل هو في منزلة بين  
المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر.

(١) دائرة المعارف الإسلامية - أ. جى . بريل - تحرير م . ت . هوتسما وآخرين - ج ٣٠ - ص ٩٣٨ - مركز  
الشارقة للإبداع الفكري - الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، وتاريخ الفلسفة الإسلامية - هنري كوربان -  
ترجمة: نصير مروة، وحسن قبيسي - ص ١٧٠ - عويدات للنشر والطباعة - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٩٨ م.  
(٢) للمعتزلة ألقاب كثيرة غير لقب المعتزلة؛ منها ما أطلقوه على أنفسهم؛ مثل: أهل التوحيد، والموحدة،  
والعدلية، وأهل العدل، والوعدية والوعيدية، والمنازلية: أهل الحق في الإسلام، والقدرية، والمنزهة، وأهل التنزيه،  
ومنها ما أطلقه الغير عليهم؛ مثل: النفاة، والمعتلة، والجهمية، ومخانيث الخوارج، والمبتدعة. يراجع: المنية  
والأمل - للقاضي عبد الجبار الهمداني - جمعه أحمد بن يحيى المرتضى - بتحقيق د. عصام الدين محمد علي -  
هامش ص ٤ - دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر - الإسكندرية - ١٩٨٥ م.

ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عَنَّا واصل؛ فُسِّمِي هو وأصحابه معتزلة... وتابعه عمرو بن عبيد (ت ١٤٤ هـ - ٧٦١ م) <sup>(١)</sup>.

وهنا يقرر واصل بن عطاء أن مرتكب الكبيرة لا يستحق اسم الإيمان كما لا يستحق اسم الكفر؛ وإنما هو في منزلة بينهما؛ فهو فاسق.

**الرأي الثاني:** يُعلل بعض مؤرخي الفرق كالبغدادي (ت ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م) والإسفراييني (ت ٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م) بأن سبب التسمية هو أن الحسن البصري طرد كلاً من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من مجلسه لما أحدثاه من البدعة في القدر، والمنزلة بين المنزلتين؛ فاعتزلوه باتباعهم جانباً من المسجد فسموا معتزلة لاعتزالهم مجالس المسلمين <sup>(٢)</sup>.

**الرأي الثالث:** يتحدث أبو الحسين الملطي (ت ٣٧٧ هـ - ٩٨٧ م) عن سبب آخر لتسميتهم بالمعتزلة قائلاً: وهم سَمَّوا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن عليّ - عليه السلام - معاوية - عليه السلام - وسلّم إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب

(١) الملل والنحل - للإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني - تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل - ج ١ - ص ٤٧، ٤٨ - ط دار الاتحاد العربي للطباعة - الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م، وأهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية - د. ألبير نصري نادر - ص ٤٩ - المطبعة الكاثوليكية - بيروت - لبنان.

(٢) الفرق بين الفرق - للإمام عبدالقاهر بن طاهر البغدادي - بتحقيق مجدي فتحي السيد - ص ٧٧ - دار التوفيقية للتراث - القاهرة، والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين - للإمام أبي المظفر الإسفراييني - تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري - ص ٢٠ - الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة، والأنساب - للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني - بتعليق الشيخ عبد الرحمن اليماني - المجلد الثاني عشر - ص ٣٣٩ - الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.

علي - ﷺ - ، ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة<sup>(١)</sup>.  
 الرأي الرابع: يذكر المقرئزي (ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤٢ م) أن تسميتهم بالمعتزلة كانت بعد الحسن البصري، وذلك أن عمرو بن عبيد لما مات الحسن البصري وجلس قتادة بن دعامة (ت ١١٨ هـ - ٧٣٦ م) مجلسه اعتزله في نفر معه... فسموا المعتزلة<sup>(٢)</sup>.

الرأي الخامس: يروي صاحب كتاب أمالي المرتضى حكاية قريبة مما ذكره المقرئزي؛ حيث يقول: "إن قتادة بعد موت الحسن البصري كان جلس مجلسه، وكان هو وعمرو بن عبيد جميعاً رئيسين متقدمين في أصحاب الحسن؛ فجرت بينهما نفرة؛ فاعتزل عمرو مجلس قتادة، واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن؛ فكان قتادة إذا جلس مجلسه سأل عن عمرو وأصحابه؛ فيقول: ما فعلت المعتزلة؟ فسموا بذلك"<sup>(٣)</sup>.

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع - لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي - عني بتصحيحه س. ديد رينغ - ص ٢٨، ٢٩ - ط المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - بيروت - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - المعروف بالخطط المقرئزية - لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئزي - وضع حواشيه خليل المنصور - ج ٤ - ص ١٧٠ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) أمالي المرتضى - غرر الفوائد ودرر القلائد - للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي - بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القسم الأول - ص ١٦٧ - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م، والفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنّفوه من الكتب في سائر العلوم - لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم - ج ٥ - ص ٥٥٧ - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

**الرأي السادس:** ما ورد في كتاب فرق الشيعة<sup>(١)</sup> من أن المسلمين بعد مقتل عثمان بن عفان افترقوا فصاروا ثلاث فرق: فرقة أقامت على ولاية علي بن أبي طالب، وفرقة منهم اعتزلت مع سعد بن مالك؛ وهم سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وأسامة بن زيد... فإن هؤلاء - رضي الله عنهم جميعاً - اعتزلوا عن علي وامتنعوا من محاربه والمحاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضاء به فُسِّموا المعتزلة وصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد، وقالوا: لا يحل قتال علي ولا القتال معه<sup>(٢)</sup>، ولا شك أن صاحب هذا الرأي كأحد رجال الشيعة يتكلم من وجهة نظر الشيعة!

**الرأي السابع:** يرى المستشرق اليهودي المجري جولد تسيهر (ت ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م) أن السبب في تسمية المعتزلة بهذا الاسم هو: أن أتباعها كانوا من الأتقياء الورعين الزهاد المنقطعين عن الدنيا<sup>(٣)</sup>؛ ولكن هذا الرأي قد لا يكون مقبولاً لكون الزهاد والعُباد كانوا موجودين قبل نشأة هذه الفرقة.

**الرأي الثامن:** يقرر المستشرق البريطاني هاملتون ألكسندر جب (ت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) أن حركة الاعتزال بدأت في الواقع في نهاية القرن الأول الهجري كانعكاس أو رد فعل خلقي للتطرف

(١) الشيعة: هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. ينظر: الملل والنحل - ج١ - ص١٤٦.

(٢) فرق الشيعة - الحسن بن موسى النوبختي - ص٢ - الناشر: دار الأضواء - بيروت - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام - تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي - إجناتس جولد تسيهر - عربيه: د. محمد يوسف موسى وآخرين - ص١٠٠ - ط مطابع دار الكتاب العربي بمصر - الناشر: دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المشني ببغداد - الطبعة الثانية.

المذهبي للخوارج<sup>(١)</sup> المتعصبين من ناحية؛ ثم للتراخي الخلقي لجماعة المرجئة<sup>(٢)</sup> من ناحية أخرى<sup>(٣)</sup>.

**الرأي التاسع:** يحاول المستشرق البريطاني مونجمري وات (ت ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م) أن يربط ربطاً غريباً غير مقبول بين نشأة المعتزلة والأفكار اليونانية؛ حيث يقول: "يبدو أن مصطلح المعتزلة كان لقباً أطلق أولاً على مجموعة لا على أفراد؛ وقد حدث ذلك على الأرجح بعد اعتناق بعض المفكرين الكلاميين للأفكار اليونانية... كما يظهر أنه أطلق على كل من استخدم الأفكار اليونانية والأساليب الجدلية اليونانية (أو العقلية)، مهما كان موقفه العقائدي العام، ويمكن أن نُرجح ذلك حوالي العام ٨٠٠ م، ولقد كان ضرار بن عمرو (ت ١٩٠ هـ - ٨٠٥ م) في وقت ما الداعية الرئيسي للأسلوب اليوناني الكلامي في البصرة"<sup>(٤)</sup>، وهذا الرأي غير مقبول؛ لأن مذهب الاعتزال نشأ قبل ذلك، وعلى الراجح في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني من الهجرة النبوية الشريفة.

(١) الخوارج: إحدى الأحزاب السياسية والفرق الدينية، ويعرفها الشهرستاني قائلاً: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان. ينظر: الملل والنحل - ج١ - ص١١٤.

(٢) المرجئة: إحدى الفرق الإسلامية، والإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير كما في قوله تعالى: (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) "سورة الأعراف - ١١١"، أي أمهله وأخره. والثاني: إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد. ينظر: الملل والنحل - ج١ - ص١٣٩.

(٣) نقلاً عن كتاب: أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري - د. عبد الحكيم بلبع - ص١٠٩ - ط مكتبة نهضة مصر بالفعالة - القاهرة.

(٤) مقالة عن الجماعة والفرق - مونجمري وات - ترجمة ناهد جعفر - ص١٧، ١٨ - مجموعة مقالات الإسلام المبكر ١٩٩٠ م.

وأرجح الآراء مما سبق وأقربها إلى الصواب الرأي الأول؛ إذ إنه شاع وذاع واشتهر بين المتقدمين والمتأخرين أن الحادثة التي حدثت بين الحسن البصري وتلميذه واصل بن عطاء حول حكم مرتكب الكبيرة الذي مات بدون توبة هي حادثة صحيحة، وكانت السبب الرئيس في تسمية المعتزلة بهذا الاسم، وظهور فرقة على الساحة الكلامية تُسمى بالمعتزلة، كما أن هذا الرأي هو ما ذهب إليه الكثير من مؤرخي الفرق.

يقول طاش كبرى زادة (ت ٩٦٨ هـ - ١٥٦١ م): "وأول ما ظهر مذهب الاعتزال وشاع، إنما ظهر من واصل بن عطاء"<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن من سبب لتسمية هذه الفرقة بهذا الاسم فإن الواقع يقرر ظهور فرقة كلامية على الساحة الإسلامية تسمى بالمعتزلة؛ لها: رجالها، وأصولها، ومبادئها، وآراؤها، ومعتقداتها.

**رابعاً: تاريخ المعتزلة:**

إن ابتداء تاريخ المعتزلة كان بالبصرة وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد.

ولقد مرت مدرسة المعتزلة بفترتين متميزتين: فترة في عهد الدولة العباسية... وأخرى في عهد الدولة البويهية<sup>(٢)</sup>... عاش رعيها الأول تحت حكم الأمويين قليلاً، ثم ملأ صدر الدولة العباسية نشاطاً وحركة، ونظراً وجدلاً ودفاعاً عن الدين... بدأ في البصرة، ثم امتد منه فرع إلى

(١) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة - المجلد الثاني - ص ١٤٤ - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

(٢) الدولة البويهية الفارسية في العراق أو الدولة الفارسية الخامسة في العراق (٣٣٤-٤٤٧ هـ / ٩٤٥-١٠٥٥ م). ينظر: تاريخ الدولة الفارسية في العراق - علي ظريف الأعظمي - ص ٥٣ - ط مطبعة الفرات - بغداد - ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م.

بغداد... وقضى المعتزلة نحو قرن تقريباً (٢٣٧ - ٣٣٤ هـ) في تراجع وتدهور... وأراد أبو عليّ الجُبائي (ت ٣٠٣ هـ - ٩١٦ م) وابنه أبو هاشم (ت ٣٢٠ هـ - ٩٣٣ م) في أواخر القرن الثالث الهجري وأوائل القرن الرابع الهجريين أن ينهضوا بالمعتزلة من جديد، ولكنّ خروج الأشعري (ت ٣٢٤ هـ - ٩٣٦ م) عليهم لم يُمكن من ذلك<sup>(١)</sup>.

وابتدأت المعتزلة منذ نشأتها طائفة دينية لا دخل لها في السياسة... إلا أنها لم تلبث أن خاضت غمار السياسة<sup>(٢)</sup>.

ولقد احتلت المعتزلة مكانة بارزة من بين الفرق الإسلامية والكلامية، وكان لهم دور رئيس وكبير وجهود مبذولة ومساهمات فكرية وعقلية تُحمد لهم في الدفاع عن الإسلام ضد أعدائه من اليهود والنصارى والمجوس<sup>(٣)</sup> والصابئة<sup>(٤)</sup> وغيرهم من أرباب الديانات والملل والنحل المختلفة؛ ممن كان يكدد للإسلام والمسلمين، أو يدخل الإسلام عن غير اقتناع، أو رجاء نفع دنيوي، أو لأي غرض آخر؛ فيظهر الإسلام ويبطن الكفر؛ فناظروهم وقاوموهم بالبرهان والحجة والدليل؛ ولا

(١) يراجع: في الفلسفة الإسلامية - منهج وتطبيقه - د. إبراهيم مذكور - ج٢ - ص٣٦، ٣٧ - ط دار المعارف - القاهرة.

(٢) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - د. حسن إبراهيم حسن - ج٢ - ص١٠ - دار الجيل - بيروت - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الرابعة عشرة - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

(٣) المجوس: طائفة كان بدء مذهبهم في شريعة موسى - ﷺ - وهم يعبدون النار... ويسجدون للشمس إذا طلعت... وقالوا لم يرسل الله إلا رسولاً واحداً لا ندري من هو. يراجع: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - للشيخ أبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي - تحقيق د. بسام علي العموش - ص٩٠، ٩١ - ط مكتبة المنار الزرقاء - الأردن - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٤) الصابئة: اسمهم مأخوذ من صبأ إذا خرج من شيء إلى شيء، ومن دين إلى دين... يعتقدون أن الكواكب السبعة مدبرة كما يعتقد أصحاب النجوم. يراجع: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - ص٩٢، ٩٣.



سيما وأنهم تسلحوا باللغة والبلاغة والبيان وفصاحة اللسان وسعة العلم والمعرفة.

وهم - كما يقول الأستاذ أحمد أمين (ت ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م) عنهم -: أول من تسلح من المسلمين بسلاح خصومهم في الدين؛ ذلك أنه في أوائل القرن الثاني للهجرة ظهر أثر من دخل في الإسلام من اليهود والنصارى والدهرية<sup>(١)</sup>؛ فكثير من هؤلاء أسلموا ورؤوسهم مملوءة بأديانهم القديمة، لم يزد عليهم إلا النطق بالشهادتين؛ فسرعان ما أثاروا في الإسلام المسائل التي كانت تثار في أديانهم كمسائل: القدر، وصفات الله، وخلق القرآن، وكانت هذه الأديان... قد تسلحت من قبل بالفلسفة اليونانية والمنطق اليوناني ونظمت طريق بحثها وتعمقت في ذلك كثيراً؛ فهاجموا الإسلام وهو الدين الذي يمتاز ببساطة عقيدته فأثاروا حوله الشكوك... كل هذا دعا المعتزلة أن يتسلحوا بسلاح عدوهم فجادلوهم جدالاً علمياً، وردوا هجمات القائلين بالجبر والمنكرين لله وما أثار اليهود والنصارى والمجوس من شكوك، ونشطوا لهذا العمل نشاطاً بديعاً<sup>(٢)</sup>.

ولا غرابة في هذا إذ إن عمرو بن عبيد قال عن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة: "ليس أحد أعلم بكلام غالبية الشيعة ومارقة الخوارج وكلام الزنادقة"<sup>(٣)</sup> والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين

(١) الدهرية: طائفة تنفي الربوبية وتحيل الأمر والنهي والرسالة من الله تعالى، ويقولون هذا مستحيل في العقول، ويجعلون الطينة قديمة، ولا يفرقون بين الحلال والحرام، وينكرون الخالق. يراجع: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - ص ٨٨.

(٢) فجر الإسلام - أ. أحمد أمين - ص ٢٩٩، ٣٠٠ - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

(٣) الزنادقة: الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد؛ أي طاعن في الأديان. يراجع: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي - ج ١ - ص ٢٥٦ - الناشر: المكتبة العلمية - بيروت - لبنان.

والرد عليهم منه" (١)، وكان واصل منشغلاً بالرد كذلك على المانوية (٢)؛ حيث ذكر عمر و الباهلي: أنه قرأ لواصل بن عطاء الجزء الأول من كتاب الألف مسألة في الرد على المانوية؛ قال: فأحصيت في ذلك الجزء على مخالفه نيفاً وثمانين مسألة (٣). كما أن زوجة واصل بن عطاء تحكي عنه قائلة: "كان واصل إذا جنّه الليل صف قدميه يصلي، ولوح ودواة موضوعات؛ فإذا مرت به آية فيها حُجة على مُخالف جلس فكتبها؛ ثم عاد في صلاته" (٤).

وكانت لأبي الهذيل العلاف (ت ٢٣٥ هـ - ٨٥٠ م) مناظرات كثيرة وممدودة مع المجوس والثنوية (٥)، وكان يقطع الخصم بأقل كلام، وأسلم على يده ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل (٦)، وحكي أنه في حديثه بلغه أن رجلاً يهودياً في البصرة كان قد ناظر بعض المتكلمين وانتصر عليهم؛ لكن أبا الهذيل ناظره وأفحمه وألزمه الحجّة (٧)، كما ناظر الشاعر العباسي صالح بن عبدالقدوس (ت ١٦٠ هـ - ٧٧٧ م) - الذي اتهم بالزندقة - لما قال عن العالم: إنه من أصليين قديمين: نور، وظلمة؛ كانا

(١) المنية والأمل - ص ١٨.

(٢) المانوية: أتباع ماني أو مانيس بن فاتك الفارسي الذي ولد عام ٢١٥ م، وقتله أحد ملوك الفرس عام ٢٧٥ م، وكان ماني متنسكاً متصوفاً، متشائماً لا يؤمن بانتصار الخير على الشر ألبتة، ولا أمل عنده في صلاح هذا الوجود، وتأثر ببعض الديانات؛ مثل: الزرادشتية، والميتهرية القديمة، والبراهمية، والمسيحية قبل وضع قواعد الكنيسة. ينظر: الفلسفة الشرقية - د. محمد غلاب - ص ٢٠١ - مطبعة البيت الأخضر - القاهرة - ١٩٣٨ م.

(٣) طبقات المعتزلة - أحمد بن يحيى بن المرتضى - ص ٣٥ - بتحقيق مؤسسة سوسنة ديفشلد - فلزر - الطبعة الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٤) المرجع السابق - ص ١٩.

(٥) الثنوية: هم أصحاب الاثنين الأزليين. يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان. ينظر: الملل والنحل - ج ٢ - ص ٤٩.

(٦) طبقات المعتزلة - ص ٤٤.

(٧) يُنظر: أمالي المرتضى - القسم الأول - ص ١٧٨، ١٧٩.

متباينين فامتزجا؛ فناظره أبو الهذيل وأقام عليه الحجة وألزمه؛ فانقطع صالح وأنشأ يقول:

أبا الهذيل جزاك الله من رجل فأنت حقاً لعمرى مِفْصَلٌ جَدِلٌ<sup>(١)</sup>.

وهذا غيظ من فيض مما كان عليه رجال المعتزلة من الدفاع عن الإسلام ضد أعدائه وخصومه.

### خامساً: أصول المعتزلة:

للمعتزلة أصول خمسة يرون أن من اعتقدها وآمن بها فهو من المعتزلة، يقول أبو الحسين الخياط (ت ١٩٠ هـ - ٨١٨ م): "وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد<sup>(٢)</sup>، والعدل<sup>(٣)</sup>، والوعد والوعيد<sup>(٤)</sup>، والمنزلة بين المنزلتين<sup>(٥)</sup>، والأمر

(١) المنية والأمل - ص ٢٧.

(٢) التوحيد: هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيًا وإثباتًا على الحد الذي يستحقه والإقرار به، ولا بد من اعتبار هذين الشرطين: العلم، والإقرار جميعًا؛ لأنه لو علم ولم يقر، أو أقر ولم يعلم، لم يكن موحدًا. ينظر: شرح الأصول الخمسة - للقاضي عبد الجبار بن أحمد - بتعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم - بتحقيق د. عبد الكريم عثمان - ص ١٢٨ - الناشر مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

(٣) العدل: المراد به أن أفعال الله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه. ينظر: شرح الأصول الخمسة ص ١٣٢.

(٤) الوعد والوعيد: الوعد: هو كل خبر يتضمن إيصال نفع إلى الغير أو دفع ضرر عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسنًا مستحقًا، وبين أن لا يكون كذلك... والوعيد: هو كل خبر يتضمن إيصال ضرر إلى الغير أو تفويت عنه في المستقبل، ولا فرق بين أن يكون حسنًا مستحقًا، وبين أن لا يكون كذلك. ينظر: شرح الأصول الخمسة ص ١٣٤، ١٣٥.

(٥) المنزلة بين المنزلتين: بمعنى العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يُسمى فاسقًا، ولا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن؛ بل في منزلة بن المنزلتين. ينظر: شرح الأصول الخمسة ص ٦٩٧.

بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(١)</sup>، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال فهو معتزلي<sup>(٢)</sup>. ويؤيد هذا ما ذكره المسعودي (ت ٣٤٦ هـ - ٩٥٧ م) بعد عرضه لأصول المعتزلة الخمسة قائلاً: "فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة، ومن اعتقد ما ذكرنا من هذه الأصول كان معتزلياً؛ فإن اعتقد الأكثر أو الأقل لم يستحق اسم الاعتزال؛ فلا يستحقه إلا باعتقاده هذه الأصول الخمسة"<sup>(٣)</sup>، ويرى القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ - ١٠٢٥ م): "أن المكلف إذا عرف هذه الأصول، يلزمه معرفة الفقه والشرع"<sup>(٤)</sup>.

على أنه من الجدير بالذكر أن "هذه الأصول لم تنشأ دفعة واحدة؛ بل جاء القول بـ "المنزلة بين المنزلتين" في مطلعها، ثم تتالي ظهور الأصول الأخرى تبعاً للظروف وضرورات المنطق الداخلي للمذهب"<sup>(٥)</sup>.

ولعله من المفيد القول بأن أصول المعتزلة الخمسة لم تكن معروفة بما هي عليه الآن قبل أبي الهذيل العلاف في خلافة هارون الرشيد (ت ١٩٣ هـ - ٨٠٩ م)؛ فقد جاء في شرح الطحاوية أنه

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: الأمر: هو قول القائل لمن دونه افعَل، والنهي: هو قول القائل لمن دونه لا تفعل، والمعروف: هو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه، والمنكر: هو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه. ينظر: شرح الأصول الخمسة ص ١٤١.

(٢) الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد - أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط - تحقيق د. نبيرج - ص ١٢٦، ١٢٧ - ط مكتبة الدار العربية للكتاب - القاهرة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر - لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي - اعتنى به وراجعته كمال حسن مرعي - ج ٣ - ص ١٨٥ - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٤) شرح الأصول الخمسة - ص ١٢٦.

(٥) مقدمة كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة - أبو القاسم البلخي وآخرين - تحقيق فؤاد سيد - ص ١١، ١٠ - المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٣٩ - ٢٠١٧ م.

"لما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"<sup>(١)</sup>.

ولابد من التأكيد على أن هذه الأصول مدار مذهبهم عليها، وبها يشتهرون، والإطار الذي يجمعهم؛ مما جعلهم مستقلين بنمط فكري ومنهج عقلي خاص بهم، وأعطوا للعقل النصيب الأوفر من المساحة والحرية فأصبحت مدرسة فكرية كبيرة تزخر بالكثير من العلوم والمعارف المختلفة، وكان الفكر الاعتزالي في حقبة زمنية معينة مذهباً رسمياً لدولة الخلافة العباسية منذ تبنى الخليفة المأمون (ت ٢١٨ هـ - ٨٣٣م) مبادئه وأصوله الخمسة.

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - للعلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - تحقيق أحمد محمد شاكر - ص ٤٦٨ - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - المملكة العربية السعودية.

## المبحث الثاني

## تعريف الشفاعة، وأقسامها

المطلب الأول: تعريف الشفاعة:

أولاً: تعريف الشفاعة لغة:

الشفاعة مأخوذة لغة من الشفع خلاف الوتر، وهو الزوج، تقول: كان وترًا فَشَفَعْتُهُ شَفْعًا أو شَفَعْتُهُ بآخر، وشَفَعَ الوتر من العَدَد شَفْعًا: صَيَّرَهُ زوجًا... والشفيع من الأعداد: ما كان زوجًا... وشَفَعَ لي يَشْفَعُ شَفَاعَةً وتَشْفَعُ: طَلَبَ منه الشفاعة، والشفيع: الشافع، والجمع: شفعاء، واستَشْفَعَ بفلان على فلان وتَشْفَعُ له إليه فَشَفَعَهُ فيه... واستَشْفَعَهُ: طلب منه الشفاعة؛ أي قال له: كن لي شافعًا... والشفاعة: الدعاء... والشفاعة: كلام الشفيع لِلْمَلِكِ في حاجة يسألها لغيره... والشفاعة: التجاوز عن الذنوب والجرائم<sup>(١)</sup>.

من هنا يتبين لنا أن الشفاعة لغة تدور حول معاني كثيرة؛ مثل: الوسيلة، والطلب، والدعاء،

والرجاء.

ثانياً: تعريف الشفاعة اصطلاحاً:

عرف القاضي عبد الجبار الشفاعة اصطلاحاً بأنها: "مسألة الغير أن ينفع غيره، أو أن يدفع عنه مضرة، ولا بد من شافع، ومشفوع له، ومشفوع فيه، ومشفوع إليه"<sup>(٢)</sup>. وعرفها الجرجاني (ت ٨١٦ هـ - ١٤١٣ م) بقوله: "هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه"<sup>(٣)</sup>.

(١) لسان العرب - المجلد الثامن - ص ١٨٣، ١٨٤ - مادة (شفع).

(٢) شرح الأصول الخمسة - ص ٦٨٨.

(٣) التعريفات - للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني - ص ١٣٣ - مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٥ م.

وقيل: "هي سؤال فعل الخير وترك الضر عن الغير لأجل الغير على سبيل الضراعة"<sup>(١)</sup>.  
من هذه التعاريف يتضح أن الشفاعة في الاصطلاح هي عبارة عن التوسط بطلب الخير أو سؤال الخير من الغير للغير ودفع الضر عنه، أو جلب المصالح ودفع المضار، وهنا يتضح أن المعنى الاصطلاحي للشفاعة يُعد متوافقاً مع المعنى اللغوي لها.

### المطلب الثاني: أقسام الشفاعة:

تنقسم الشفاعة قسمين: الشفاعة في الدنيا، والشفاعة في الآخرة.

### الشفاعة في الدنيا:

ومعناها: التوسط لقضاء حوائج ومصالح الناس الدنيوية والمعيشية المشروعة والمباحة.

قال تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا)<sup>(٢)</sup>.

ذكر ابن عطية (ت ٥٤١ هـ - ١١٤٧ م) في تفسير هذه الآية عن بعض أهل العلم قولهم: "هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم؛ فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله كِفْل"<sup>(٣)</sup>.  
ولقد رَغَبَتِ السنة النبوية الشريفة في قضاء حوائج المسلمين؛ فعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه -  
أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمُهُ ولا يُسَلِّمُهُ ومن كان في حاجة أخيه كان الله

(١) الكلبيات - لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي - ص ٥٣٦ - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان -  
الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٢) سورة النساء - آية ٨٥.

(٣) تفسير ابن عطية المسمى: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز - لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي -  
ص ٤٦١ - ط دار ابن حزم.

في حاجته" (١).

وكان رسول الله - ﷺ - مثلاً يُحتذى به في ذلك؛ فعن أبي موسى - ﷺ - قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة، أقبل على جلسائه فقال: "اشفعوا فلتؤجروا. وليقض الله على لسان نبيه ما أحب" (٢).

يقول الإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م) معلقاً على هذا الحديث الشريف: "فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووال ونحوهما، أم إلى واحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة في كف ظلم، أو إسقاط تعزير (٣)، أو في تخليص عطاء لمحتاج أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود (٤) فحرام، وكذا الشفاعة في تميم باطل أو يبطل حق ونحو ذلك فهي حرام" (٥)، ويقول في موضع آخر: "فيستحب الشفاعة إلى أصحاب الحقوق، وقبول الشفاعة في الخير... وجواز الشفاعة إلى صاحب الحق، والإصلاح بين الخصوم، وحسن التوسط، وقبول الشفاعة في غير معصية" (٦).

(١) صحيح البخاري - لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري - تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر - كتاب الإكراه - باب: يمين الرجل لصاحبه إنه أخوه إذا خاف عليه القتل أو نحوه - حديث رقم (٦٩٥١) - ج٩ - ص١٤٦ - الناشر دار طوق النجاة - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي - كتاب البر والصلة والآداب - باب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام - حديث رقم (٢٦٢٧) - ج١٦ - ص٢٧٢ - مؤسسة قرطبة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

(٣) التعزير: تأديب دون الحد، وأصله من العزر وهو المنع. التعريفات - الجرجاني - ص٦٥.

(٤) الحدود: جمع حد، وهو في اللغة: المنع، وفي الشرع: عقوبة مقدرة وجبت حقاً لله تعالى. التعريفات - الجرجاني - ص٨٨.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب البر والصلة والآداب - باب: استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام - ج١٦ - ص٢٧٢.

(٦) المرجع السابق - كتاب المساقاة - باب: استحباب الوضع من الدين - ج١٠ - ص٣١.



من هنا يتضح أن الشفاعة في الدنيا إنما تكون فيما هو مباح وحلال وحق وليس ممنوعاً وحرماً وباطلاً؛ ومن ثم لا تصح الشفاعة في أمور يترتب عليها معصية لله، أو مفسدة، أو ظلم للناس، أو ضياع لحقوقهم.

إذ روي عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - : "أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ الْمَخْزُومِيَّةُ<sup>(١)</sup> الَّتِي سَرَقَتْ؛ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ لَهُ؟" ثُمَّ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا"<sup>(٢)</sup>.

فعلى الرغم من محبة الرسول ﷺ لأسامة بن زيد - رضي الله عنه -؛ لكنه ﷺ رفض شفاعته في الحدود؛ إذ لا محاباة لأحد - ولا سيما فيما يتعلق بحدود الله - لقربه أو لغناه أو لشرفه في قومه... إلخ، وأخبرهم ﷺ أن سبب ضلال من كان قبلنا في دينهم ودنياهم أنهم يقيمون الحدود على الفقراء والضعفاء، ويتركون الأغنياء والأقوياء! فلا بد من إقامة العدل والقسط بين الجميع. وتحرم كذلك الشفاعة في ترك الحقوق والتفريط فيها؛ يقول الإمام النووي: "اعلم أنه تستحب الشفاعة إلى ولاية الأمر وغيرهم من أصحاب الحقوق والمستوفين لها، ما لم تكن شفاعة

(١) اسمها فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم؛ من أشرف بني مخزوم. أسلمت وبايعت. وهي التي سرقت فقطع النبي ﷺ يدها. ينظر: الطبقات الكبرى - محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد - ج ٨ - ص ٢٠٦ - دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الحدود - باب: كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان - حديث رقم (٦٧٨٨) - ج ٩ - ص ١١٢.

في حدٍ، أو شفاعاة في أمر لا يجوز تركه، كالشفاعة إلى ناظرٍ على طفل أو مجنونٍ أو وقفٍ أو نحو ذلك في ترك بعض الحقوق التي في ولايته، فهذه كلها شفاعاةٌ محرمةٌ تحرم على الشافع، ويحرم على المشفوع إليه قبولها، ويحرم على غيرهما السعي فيها إذا علمها"<sup>(١)</sup>.

كما تحرم شفاعاة المشركين ممن اتخذ الأصنام والأوثان<sup>(٢)</sup> والأنداد وغيرها شفاعاء يرجون عندهم النفع من دون الله تعالى! قال تعالى: (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ)<sup>(٣)</sup>؛ فهو "ذم للمشركين في اتخاذهم شفاعاء من دون الله، وهم الأصنام والأنداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان... وهي لا تملك شيئاً من الأمر؛ بل وليس لها عقل تعقل به، ولا سمع تسمع به، ولا بصر تبصر به، بل هي جمادات أسوأ حالاً من الحيوان بكثير"<sup>(٤)</sup>.

### الشفاعة في الآخرة:

الشفاعة في الآخرة نوعان: شفاعاة مثبتة، وشفاعة منفية.

**النوع الأول: الشفاعاة المثبتة:** وهي التي تتحقق فيها الشروط الشرعية الرئيسة الواردة في القرآن الكريم عن الشفاعاة؛ وهي:

- (١) الأذكار النووية - للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي - بتحقيق عامر بن علي ياسين - ص ٥٨٢، ٥٨١ - دار ابن خزيمة - الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- (٢) الصنم: يقال هو الوثن المتخذ من الحجارة أو الخشب... ويقال: الصنم: المتخذ من الجواهر المعدنية التي تذوب، والوثن هو: المتخذ من حجر أو خشب، وقال ابن فارس: الصنم ما يتخذ من خشب أو نحاس أو فضة والجمع أصنام. ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - ج ١ - ص ٣٤٩.
- (٣) سورة الزمر - آية ٤٣.
- (٤) تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - بتحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين - المجلد الثاني عشر - ص ١٣٤ - مؤسسة قرطبة - الجيزة - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

**الشرط الأول:** أن يكون المشفوع له مُسَلِّمًا، قال تعالى: (وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَومٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ)<sup>(١)</sup>. والمراد بالظالمين في الآية كما ذكر بعض أهل العلم: الكفار والمشركون<sup>(٢)</sup>، ومن ثم فلا شفاعة للكافرين والمشركين ولا لمن آل مآلهما؛ إذ الشفاعة مقصورة على أهل الإسلام فقط.

**الشرط الثاني:** رضا الله تعالى عن الشافع: قال عز من قائل: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا)<sup>(٣)</sup>.

**الشرط الثالث:** رضا الله ﷻ عن المشفوع له: قال ﷻ: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى)<sup>(٤)</sup>.

**الشرط الرابع:** إذن الله سبحانه بالشفاعة: قال ﷻ: (مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ)<sup>(٥)</sup>، وقال تعالى: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى)<sup>(٦)</sup>، وقال تعالى: (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)<sup>(٧)</sup>.

وتتعدد الشفاعات المثبتة والمقبولة في اليوم الآخر؛ فمنها ما يأتي:

(١) سورة غافر - آية ١٨.

(٢) يُنظر: تفسير ابن عطية - ص ١٦٣٢، وتفسير ابن كثير - المجلد الثاني عشر - ص ١٨١.

(٣) سورة طه - آية ١٠٩.

(٤) سورة الأنبياء - آية ٢٨.

(٥) سورة يونس - آية ٣.

(٦) سورة النجم - آية ٢٦.

(٧) سورة سبأ - آية ٢٣.

١- شفاعات سيدنا محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

٢- شفاعة النبيين والملائكة والمؤمنين:

فقد رُوي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن الرسول ﷺ قال: "... فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون؛ فيقول الجبار: بقيت شفاعتي؛ فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد اُمْتُحِشُوا<sup>(٢)</sup>؛ فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافِيَتِهِ كَمَا تَنْبِتُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ<sup>(٣)</sup>..."<sup>(٤)</sup>.

ورُوي عنه أيضاً أن الرسول ﷺ قال: "إن من أمتي من يشفع للفئام<sup>(٥)</sup>، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعُصبة<sup>(٦)</sup>، ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة"<sup>(٧)</sup>.

٣- شفاعة الشهداء:

رُوي عن المقدم بن معدي كرب الكندي - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن للشهيد

(١) لسيدنا محمد ﷺ شفاعات عديدة في اليوم الآخر سيأتي الحديث عنها في المبحث الرابع إن شاء الله.

(٢) اُمْتُحِشُوا: امتحش: أي احترق، ومحشته النار وامتحشته: أحرقتة. يُنظر: لسان العرب - المجلد السادس - ص ٣٤٤ - مادة (محش).

(٣) حَمِيلِ السَّيْلِ: ما يَحْمِلُ مِنَ الْعُثَاءِ وَالطِّينِ. يُنظر: لسان العرب - المجلد الحادي عشر - ص ١٧٧ - مادة (حمل).

(٤) صحيح البخاري - كتاب التوحيد - باب: قول الله تعالى: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) - حديث رقم (٧٤٣٩) - ج ١٠ - ص ٧٤٥، ٧٥٠.

(٥) الفئام: الجماعة الكثيرة. ينظر: لسان العرب - المجلد الثاني عشر - ص ٤٤٨ - مادة (فأم).

(٦) العُصْبَةُ: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. ينظر: لسان العرب - المجلد الأول - ص ٦٠٥ - مادة (عصب).

(٧) سنن الترمذي - بتحقيق د. بشار عواد معروف - أبواب: صفة القيامة والرقائق والورع - باب: رقم ١٢ - ج ٤ - ص ٢٣٤ - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - ١٩٩٦ م.

عند الله ﷺ ستَّ خصال: أن يغفر له في أول دفعة من دمه، ويُرَى مقعده من الجنة، ويُجار من فتنة القبر، ويأمن يوم الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحُور العين، ويُشَفَّع في سبعين إنساناً من أقاربه"<sup>(١)</sup>.

#### ٤- شفاعة المصلين على الميت:

رُوي عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من ميت يُصَلِّي عليه أُمَّة من المسلمين يَبْلُغُونَ مائة. كلهم يشفعون له. إلا شفَعوا فيه"<sup>(٢)</sup>.

#### ٥- شفاعة الصيام والقرآن:

رُوي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال: فيشفعان"<sup>(٣)</sup>.

#### النوع الثاني: الشفاعة المنفية: ومنها ما يأتي:

#### ١- شفاعة ما يتعلق بالظالمين والمشركين ومعبوداتهم الباطلة:

وهي الشفاعة التي نفاها الله صلى الله عليه وسلم عن الظالمين والمشركين وأتباع المعبودات الباطلة، والأدلة على ذلك كثيرة؛ منها: قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)<sup>(٤)</sup>، وقوله سبحانه: (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل - بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين - حديث رقم (١٧١٨٢) - ج٢٨ - ص٤١٩

- ط مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٩-١٩٩٩م.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الجنائز - باب: من صلى عليه مائة شفَعوا فيه - ج٧ - ص٢٤.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل - حديث رقم (٦٦٢٦) - ج١١ - ص١٩٩.

(٤) سورة البقرة - آية ٤٨.

لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ)<sup>(٢)</sup>، وقوله عز من قائل: (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ)<sup>(٣)</sup>.

٢- شفاعة اللعائين<sup>(٤)</sup>:

ولا تُقبل كذلك شفاعة اللعائين؛ إذ روي عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله

ﷺ: "لا يكون اللعائون شُفَعَاءَ ولا شُهَدَاءَ يوم القيامة"<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة غافر - آية ١٨ .

(٢) سورة يونس - آية ١٨ .

(٣) سورة المدثر - آية ٤٨ .

(٤) اللعانون: هم من يكثرون اللعن، وهو جمع لعان، واللعن: الطرد والإبعاد من رحمة الله، واللعان: كثير اللعن.

ينظر: لسان العرب - المجلد الثالث عشر - ص ٣٨٧ - مادة (لعن).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة والآداب - باب: النهي عن لعن الدواب وغيرها - حديث رقم

(٢٥٩٨) - ج ١٦ - ص ٢٢٥ .

## المبحث الثالث

## رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر

وأدلتهم وشبهاتهم على ذلك :

تمهيد :

قبل الخوض في رأي المعتزلة في مسألة الشفاعة يجدر بي أن ألقى الضوء على معنى الكبيرة في اللغة والاصطلاح؛ فأقول وبالله التوفيق :

أولاً : تعريف الكبيرة لغة :

جاء في لسان العرب ما يأتي: "الكبر: الإثم الكبير، وما وعد عليه النار، والكِبْرَةُ: كالكِبْرِ، التأنيث على المبالغة، وفي التنزيل العزيز: (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) (١). وفي الحديث ذُكرت الكبائر في غير موضع، واحداً منها كبيرة، وهي: الفَعْلَةُ القبيحةُ من الذنوب المُنْهِيَّ عنها شرعاً، العظيم أمرها؛ كالقتل، والزنا، والفرار من الزحف، وغير ذلك" (٢).

ثانياً : تعريف الكبيرة اصطلاحاً :

تُعرف الكبيرة اصطلاحاً بتعريفات كثيرة؛ منها ما يأتي :

ما رُوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنها: "كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب" (٣). وقيل هي: "كل معصية يوجد فيها حدٌّ في الدنيا وتوعد بنار في الآخرة، أو لعنة أو نحو هذا خاصاً بها" (٤).

(١) سورة النجم - آية ٣٢.

(٢) لسان العرب - المجلد الخامس - ص ١٢٩ - مادة (كبر).

(٣) تفسير الطبري المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - بتحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي - ج ٦ - ص ٦٥٢ - دار هجر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٤) تفسير ابن عطية المسمى: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز - ص ١٧٨٣.

وعرفها الجرجاني بأنها: "ما كان حراماً محضاً، سُرعَ عليها عُقوبةٌ مَحْضَةٌ بنصّ قاطع في الدنيا والآخرة"<sup>(١)</sup>.

ومن الملاحظ في هذه التعريفات الاصطلاحية للكبيرة أنها متقاربة، ويمكن القول إنها كل معصية يترتب عليها حدّ في الدنيا، أو عقوبة ووعيد في الآخرة؛ كشهادة الزور، وقذف المحصنات، والزنا، والسرقه، وشرب الخمر... إلخ.

#### المطلب الأول: رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر:

تعتقد المعتزلة بثبوت الشفاعة للنبي ﷺ؛ ولكنها خاصة بمرتكبي الصغائر والتائبين من المؤمنين، ومن ثمّ فلا شفاعة للعصاة والفساق من أهل الكبائر عندهم! فلقد أنكرت المعتزلة شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر، أو خروجهم من النار بشفاعته ﷺ... وقالوا: إن الشفاعة للناسي وأهل الصغائر<sup>(٢)</sup>.

يقول القاضي عبد الجبار: "لا خلاف بين الأمة في أن شفاعة النبي ﷺ ثابتة للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟ فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين"<sup>(٣)</sup>.

ويتابعه الجُشَمي (ت ٤٩٤ هـ - ١١٠١ م) قائلاً: "شفاعة الرسول ﷺ يوم القيامة ثابتة وحق

(١) التعريفات - الجرجاني - ص ١٩٢.

(٢) كتاب المقالات ومعه عيون المسائل والجوابات - أبو القاسم البلخي - تحقيق د. حسين خانصو وآخرين - ص ٤٠٣، ٤٠٢ - دار الفتح - عمان - الأردن - الطبعة الأولى - ١٤٣٩ - ٢٠١٨ م.

(٣) شرح الأصول الخمسة - ص ٦٨٧، ٦٨٨، والتبصرة في العدل والتوحيد - المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني - بتحقيق عبدالله إسماعيل هاشم الشريف - ص ٥٢ - مطبوعات مكتبة مركز بدر - صنعاء - اليمن - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.



للمؤمنين" <sup>(١)</sup>، ويذكر كذلك أنه "لا شفاعة لأهل الكبائر إلا أن يتوبوا" <sup>(٢)</sup>.

وذلك لأن مسألة الشفاعة - في معتقدهم - متعلقة بمسألة الوعد والوعيد؛ حيث إن إثبات الشفاعة للعصاة والفساق يتنافى مع تلك المسألة؛ والتي هي أصل من أصولهم الخمسة القائم عليها مذهبهم؛ والتي يرون من خلالها أنه يجب على الله تعالى إثابة المطيع وعقاب العاصي؛ ولا سيما وأنهم يقولون بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار؛ فإذا دخل النار فلن يخرج منها، وأنكروا كل ما يتعارض مع رأيهم هذا!

قال أبو عليّ الجُبائي: "إن أهل النار إذا دخلوا لم يصح خروجهم منها؛ لأنهم من أهل العقاب، ولا يجوز مع ذلك أن يكونوا من أهل الثواب؛ لأن ذلك كالمتضاد، ولو تخلصوا بالشفاعة لم يخل حالهم إذا أدخلهم الله الجنة من أن يكونوا من أهل الثواب أو التفضل، والعقل قد دل على أن لا ثواب لهم، والسمع قد دل على أن المكلف في الجنة لا يجوز أن يكون بمنزلة أهل التفضل وأن يكونوا من خدم أهل الجنة؛ فهذا أيضاً يمنع مما قالوه في الشفاعة" <sup>(٣)</sup>.

على أنه من الجدير بالذكر أن بعض كبار رجال المعتزلة خالف ذلك الرأي؛ كأبي هاشم الجُبائي؛ حيث يذكر القاضي عبد الجبار رأيه في هذه المسألة قائلاً: "لكن أبا هاشم - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقول: قد تصح الشفاعة مع كون الشفيع ساخطاً، وقد تصح بلا توبة" <sup>(٤)</sup>، ويقول في موضع آخر: "الذي

(١) الرسالة في نصيحة العامة - للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجُشَمِي - ص ١٢٢ - ١٤٣٨ هـ.

(٢) عيون المسائل في الأصول - للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجُشَمِي - تحقيق ودراسة د. رمضان يلدرم - ص ٢٥٦ - دار الإحسان للنشر والتوزيع.

(٣) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة - ص ١٧٣، ١٧٤.

(٤) المرجع السابق - ص ١٧٥.

يذهب إليه أبو هاشم هو أنه تحسن الشفاعة مع إصرار المذنب على الذنب كما في العفو<sup>(١)</sup>؛ ويعقب شارح الأصول الخمسة على رأي أبي هاشم الجُبائي قائلاً: "ولعل الصحيح في هذا الباب ما اختاره قاضي القضاة"<sup>(٢)</sup>؛ أي إنه مال إلى رأي القاضي عبد الجبار والمعتزلة القائل بنفي الشفاعة عن أهل الكبائر.

ولابد من الإشارة إلى أن الشفاعة عند المعتزلة تكون قاصرة على رفع الدرجات والزيادة في التفضيل والثواب والمنافع فقط؛ حيث يقول القاضي عبد الجبار: "فأما قولنا في إثبات الشفاعة فهو معروف، ونزعم أن من أنكره فقد أخطأ الخطأ العظيم، لكننا نقول لأهل الثواب دون أهل العقاب، ولأولياء الله دون أعدائه، ويشفع ﷺ في أن يزيدهم تفضيلاً عظيماً. وقد يجوز أن يشفع لهم في الثواب؛ لأنه لا يُجِبُّ أن تصح الشفاعة إلا فيما يجوز من المشفوع إليه أن يُفَعَلَ وألَّا يُفَعَلَ؛ بل قد يجوز أن يُشَفَعَ إليه فيما لا بد أن يفعل إذا كانت شفاعة الشافع تُصَادِفُ ذلك الفعل؛ فيلحقه في ذلك السُّرُورُ العظيم. وعلى هذا الوجه تَعَبَّدْنَا اللهُ - تعالى - بالدُّعَاءِ لِلنَّبِيَّاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالرَّحْمَةِ وَالنِّعْمَةِ، لَمَا حَصَلَ لَنَا فِيهِ فَائِدَةٌ؛ فرسول الله ﷺ يُسَرُّ إِذَا أَثَابَهُمْ تَعَالَى، وَيُسَرُّ إِذَا تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِالزِّيَادَةِ"<sup>(٣)</sup>.

والحاكم الجُسَمِي بعد إثباته شفاعة الرسول ﷺ للمؤمنين والتائبين يوم القيامة يذكر أن "لهم في ذلك زيادة ثواب، وللنبي ﷺ درجة عظيمة بقبول شفاعته"<sup>(٤)</sup>.

ويذكر ركن الدين الملاحي المعتزلي (ت ٥٣٦ هـ - ١١٤١ م) موقف رجال المعتزلة من

مسألة الشفاعة؛ حيث يقول: ذهب شيوخنا - أي من المعتزلة - إلى أن شفاعة النبي محمد ﷺ

(١) شرح الأصول الخمسة - ص ٦٨٩.

(٢) نفس المرجع والصفحة.

(٣) نقلاً عن كتاب: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة - ص ١٧٥.

(٤) الرسالة في نصيحة العامة - ص ١٢٢.

تكون للمؤمنين ليتفضل الله تعالى عليهم بزيادة المنافع<sup>(١)</sup>.

والذي دعاهم لهذا القول هو ادعاؤهم أن أهل الكبائر لا يستحقون الثواب؛ "لأن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب"<sup>(٢)</sup> فهم يرون "أن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر إلا بالتوبة، وإنه لصادق في وعده ووعيده، لا مُبَدَّلَ لكلماته"<sup>(٣)</sup>؛ فالله تعالى لا يخلف وعده ولا وعيده، ومن ثمَّ فإثابة من لا يستحق الثواب كأهل الكبائر يُعد قبيحاً في اعتقادهم! وبذلك تنتفي عنهم الشفاعة!

وهنا يتضح موقف المعتزلة جلياً من الشفاعة لأهل الكبائر في أنها تكمن في كونها متعارضة مع أصل الوعد والوعيد - الأصل الثالث لديهم -، وبطبيعة الحال فإن كل ما يتعارض مع أصل من أصولهم الخمسة ينكرونه؛ محاولين تبرير رأيهم والدفاع عنه والانتصار له بكل ما أوتوا من قوة! فلا مناص لديهم من وجوب إنفاذ الوعيد، ومن ثمَّ فهم يرون أن مرتكب الكبيرة إذا مات بدون توبة فهو لا يستحق الشفاعة، ومُخلد في النار؛ إلا أن عقابه يكون أخف أو أقل من عقاب الكافر أو المشرك!

وتبعهم في ذلك الزيدية<sup>(٤)</sup>؛ فإنهم لا يجوزون الشفاعة لأهل الكبائر الذين ماتوا قبل أن

(١) الفائق في أصول الدين - ركن الدين محمود بن محمد الملاحمي الخوارزمي - بتحقيق د. فيصل بدر عون - ص ٥٤٥ - ط دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة - ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

(٢) شرح الأصول الخمسة - ص ١٣٦، ١٣٥.

(٣) مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي - ج ٣ - ص ١٨٥.

(٤) الزيدية: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إماما واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن، أو من أولاد الحسين عليهما السلام. ينظر: الملل والنحل - الشهرستاني - ج ١ - ص ١٥٤، ١٥٥.

يتوبوا؛ فيقولون: "شفاعة النبي ﷺ لا تكون لأهل الكبائر المصرين عليها حتى يأتيهم الموت، وإنما تكون لأهل الكبائر الذين تابوا وماتوا على التوبة"<sup>(١)</sup>؛ فعندهم أن "النبي ﷺ يشفع للمؤمنين التائبين، ولا يشفع لأهل الكبائر"<sup>(٢)</sup>؛ لأن شفاعة النبي ﷺ - من وجهة نظرهم - هي لأهل الجنة من أمته يُرقيهم الله بها من درجة كانوا فيها إلى درجة أعلى منها، ومن نعيم صاروا إليه إلى نعيم أسنى منه؛ فيزيدهم الله نعيماً إلى نعيمهم وسروراً إلى سرورهم، وأما من أدخله الله النار فهو خالد فيها أبداً<sup>(٣)</sup>.

كما تبع المعتزلة في العصور المتأخرة طائفة ممن شككوا في الشفاعة؛ وأثاروا حولها الشبهات والترهات والأباطيل؛ لمحاولة إنكارها وعدم الاعتراف بها مطلقاً! ضاربين بالنصوص الصريحة الصحيحة الواردة فيها عرض الحائط وعدم الاكتراث بها! تُسمى هذه الطائفة "القرآنيون"؛ وهؤلاء لكونهم ينكرون السنة النبوية بالكلية؛ فلا يؤمنون بأية مسألة تثبت عن طريق السنة الصحيحة!

ومن أشهر من أنكر شفاعة النبي ﷺ في واقعنا المعاصر د. مصطفى محمود (ت ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م) وكانت له مقالات حول هذه المسألة؛ تم جمعها في كتاب أصدرته دار "أخبار اليوم"

(١) ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة - السيد الأمير الحسين بن بدرالدين - حققه د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني - ص ٥١١، ٥١٢ - مكتبة بدر - صنعاء - اليمن - الطبعة الثانية - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) التبصرة في العدل والتوحيد - المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني - ص ٥٢.

(٣) عدة الأكياس المنتزع من شفاء صدور الناس في شرح معاني الأساس - للسيد أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي - ج ٢ - ص ٣٨٠ - ط مكتبة أهل البيت - صعده - اليمن - الطبعة الأولى - ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م، ومصباح العلوم في معرفة الحي القيوم - الشيخ أحمد بن الحسن الرصاص - بتحقيق د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني - ص ٦٠ - مكتبة بدر - صنعاء - اليمن - الطبعة الثانية - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

تقريباً قبل وفاته بثلاث سنوات؛ تحت اسم: (الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين)، وقد أثار هذا الكتاب استياء علماء الأزهر خاصة، وعلماء المسلمين عامة، مما جعل البعض يقف للتصدي له والرد عليه في مؤلفات تذب وتدفع عن إثبات مسألة الشفاعة ثبوتاً لا يمكن التشكيك معه؛ كما دافعت عن السنة النبوية الشريفة خير دفاع. فجزاهم الله خيراً.

وسبق الخوارج كلاً من المعتزلة والزيدية في مسألة إنكار الشفاعة لأهل الكبائر؛ ومعلوم أن الخوارج كانوا في أواخر زمن الصحابة - ﷺ - وأما المعتزلة فكانوا في زمن التابعين، يقول الإمام الأشعري عند حديثه عن مقالاتهم: "وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجذات<sup>(١)</sup> فإنها لا تقول ذلك<sup>(٢)</sup>، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلا النجذات أصحاب نجدة"<sup>(٣)</sup> وذلك لأن النجذات لا يكفرون أصحاب الحدود من موافقيهم<sup>(٤)</sup>.

ويقول الإمام ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ - ١٠٦٤ م) مبيناً إنكار المعتزلة والخوارج للشفاعة: "اختلف الناس في الشفاعة؛ فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج، وكل من تبع أن لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها"<sup>(٥)</sup>.

(١) النجذات: أصحاب نجدة بن عامر الحنفي. ينظر: الملل والنحل - ج١ - ص ١٢٢.

(٢) وذهبت الإباضية من الخوارج إلى: "أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر، كفر النعمة، لا كفر الملة". ينظر: الملل والنحل - الشهرستاني - ج١ - ص ١٣٥.

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - عنى بتصحيحه: هلموت ريتز - ص ٨٦ - الناشر: دار فرانز شتايز - مدينة فيسبادن - ألمانيا - الطبعة الثالثة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

(٤) الفرق بين الفرق - البغدادي - ص ٤٩.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل - للإمام ابن حزم الأندلسي الظاهري - ج٤ - ص ٥٣ - مكتبة السلام العالمية - طبعة محمد علي صبيح - القاهرة - ١٣٤٨ هـ.

ويتحدث الإمام ابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ - ١٣٢٨ م) عن رأيهما - أي المعتزلة والخوارج - في الشفاعة قائلاً: "وعند الخوارج والمعتزلة أنه لا يشفع لأهل الكبائر؛ لأن الكبائر عندهم لا تغفر، ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها"<sup>(١)</sup>.

ويجلى الأمر وضوحاً وبياناً ما ذكره أحد مشايخ الإباضية<sup>(٢)</sup> عن رأيه في مسألة الشفاعة؛ حيث يقول: "ومن ذلك شفاعة النبي ﷺ لا تكون لمن مات مصراً غير تائب، إنما الشفاعة لمن مات على صغيرة، أو مات وقد نسي ذنباً أن يتوب منه، أو لزيادة درجة في الجنة، أو لتخفيف الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه إلى الجنة"<sup>(٣)</sup>.

وبذلك يتضح جلياً اتفاق كل من المعتزلة والزيدية مع الخوارج في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر في اليوم الآخر؛ لكن السؤال الذي يطرح نفسه؛ هو؛ هل تأثر الفكر الاعتزالي بأفكار الخوارج في مسألة الشفاعة لأصحاب الكبائر في اليوم الآخر؟ ولا سيما وأن الخوارج كانت سابقة على المعتزلة، أم إن كلاهما انطلق من زاوية معينة دعته لإنكار الشفاعة؟ ولنخرج فرقة الزيدية؛ لكونها - كما يرى البعض - متأثرة بالمعتزلة في بعض المسائل العقديّة والأصولية.

الحقيقة أنه من غير الممكن القطع أو الجزم بتأثر المعتزلة بالخوارج في الشفاعة تأثيراً مباشراً، لكن ما يؤكد الواقع هو إحياء المعتزلة لفكر الخوارج في هذه المسألة؛ كما أن كلاهما

(١) مجموعة الرسائل والمسائل - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - علق عليه: السيد محمد رشيد رضا - ج١ - ص ١١ - الناشر لجنة التراث العربي.

(٢) الإباضية: أصحاب عبد الله بن إياض التميمي؛ الذي خرج في أيام مروان بن محمد؛ فوجه إليه عبد الله بن محمد بن عطية، فقاتله بتبالة. ينظر: الملل والنحل - ج١ - ص ١٣٤.

(٣) العقود الفضية في أصول الإباضية - الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي - مراجعة إبراهيم بن محمد العساكر - ص ٢٩٣، ٢٩٢ - وزارة التراث والثقافة - سلطنة عمان - الطبعة الثانية - ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.

وإن اتفقا على نفيها عن مرتكب الكبيرة وعدم استحقاقه لها؛ إلا أن الخوارج انطلقت من فكرة إصاق التكفير بكل صاحب معصية! ومن ثم حكمت على مرتكب الكبيرة بالكفر في الدنيا، أما المعتزلة فرأت أن مرتكب الكبيرة فاسق؛ وأنه في منزلة بين المنزلتين - الإيمان والكفر -! وكلاهما حكم عليه بالخلود في النار في اليوم الآخر!

**المطلب الثاني: أدلة المعتزلة وشبهاتهم على رأيهم في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر والرد عليها:**

استدل المعتزلة بأدلة نقلية وعقلية على رأيهم في أن الشفاعة لا تصح ولا تجوز لأهل الكبائر الذين ماتوا من غير توبة، وأولوها بتأويلات بعيدة لا تتناسب مع ما ذهبوا إليه؛ ولكن لتطويع هذه الأدلة لمذهبهم؛ ومن أبرز أدلتهم ما يلي:

**أولاً: أدلتهم النقلية على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر:**

من الأدلة النقلية التي استدل بها المعتزلة على نفي الشفاعة لأهل الكبائر ما يأتي:

١ - قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)<sup>(١)</sup>.

**وجه الدلالة:** يقول القاضي عبد الجبار في تفسير هذه الآية: "الآية تدل على أن من استحق

العقاب لا يشفع النبي ﷺ له، ولا ينصره؛ لأن الآية وردت في صفة اليوم ولا تخصيص فيها؛ فلا يمكن صرفها إلى الكفار دون أهل الثواب، وهي واردة فيمن يستحق العذاب في ذلك اليوم؛ لأن هذا الخطاب لا يليق إلا بهم؛ فليس لأحد أن يطعن على ما قلناه بأن يمنع الشفاعة للمؤمنين أيضاً"<sup>(٢)</sup>.

ويذكر الجشمي أن الآية: "تدل على أن صاحب الكبيرة لا يكون له شفيع؛ فيبطل مذهب

(١) سورة البقرة - آية ٤٨ .

(٢) متشابه القرآن - للقاضي عبد الجبار بن أحمد - تحقيق د. عدنان محمد زرزور - القسم الأول - ص ٩٠ - ط دار التراث - القاهرة.

مخالفينا في الشفاعة لأهل الكبائر" (١).

ويتحدث الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ - ١١٤٣ م) عن نفي الشفاعة للعصاة عند تفسيره للآية سالفة الذكر قائلاً: "فإن قلت: هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تُقبل للعصاة؟ قلت: نعم؛ لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك؛ ثم نفى أن يُقبل منها شفاعة شفيع؛ فعلم أنها لا تقبل للعصاة" (٢).

ويُعقب صاحب كتاب: الفائق في أصول الدين على هذه الآية قائلاً: "فأخرج الآية مخرج الزجر عن المعاصي اتقاءً من اليوم الذي لا تنفع فيه شفاعة" (٣).

ولرد عليهم أقول: واضح هنا أنهم أولوا الآية تأويلات بعيدة وطوعوها لتأييد مذهبهم؛ لكنها لا تتناسب مع مقصدها ومرادها؛ لأن المراد من عدم قبول الشفاعة في الآية: "إنما هي لمن مات على كفره غير تائب إلى الله ﷻ" (٤)؛ وبالتالي فـ "تشبث المعتزلة بالآية في نفي الشفاعة

(١) التهذيب في التفسير - للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجشومي - تحقيق عبدالرحمن بن سليمان السالمي - ج١ - ص٣٧٢ - دار الكتاب المصري - القاهرة - ودار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.

(٢) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - تحقيق خليل مأمون شيحا - ص٧٦،٧٥ - دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٣) الفائق في أصول الدين - ص٥٤٦.

(٤) تفسير الطبري - ج١ - ص٦٣٧.



مردود؛ لأن المنفي شفاعة الكفار" <sup>(١)</sup>؛ إذ إن "الآية محمولة على أن النفس التي لا يُقبل الشفاعة في حقها هي النفس الكافرة لا على العصاة من المؤمنين" <sup>(٢)</sup>؛ فالشفاعة المنفية في الآية هي الشفاعة الخاصة بالكفار؛ لأن الضمير في (منها) يرجع إلى النفس الكافرة.

٢- قوله تعالى: (مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) <sup>(٣)</sup>.

وجه الدلالة: يقول القاضي عبد الجبار عند تفسيره لهذه الآية: "بين أن الظالم لا يشفع له النبي ﷺ، وأن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين لتحصل لهم مزية في التفضل وزيادة الدرجات مع ما يحصل له ﷺ من التعظيم والإكرام" <sup>(٤)</sup>، ويقول في موضع آخر: "فالله تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع ألبتة" <sup>(٥)</sup>.

ويذكر الجشمي أن الآية: "تدل على صحة قولنا - أي المعتزلة - إنه لا شفيع لأهل الكبائر" <sup>(٦)</sup>.

ويقول الزمخشري: "يتناول النفي الشفاعة والطاعة معاً... لأن الشفعاء هم أولياء الله، وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلا من أحبه الله ورضيه، وأن الله لا يحب الظالمين؛ فلا يحبونهم،

(١) تفسير النسفي المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي - حققه يوسف علي بدوي - ج ١ - ص ٨٧ - دار الكلم الطيب - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٢) الشافي في أصول الدين - للشيخ الإمام إسرائيل بن دمرك الحنفي - اللوح ٩٣ - مخطوط.

(٣) سورة غافر - آية ١٨.

(٤) متشابه القرآن - القسم الأول - ص ٣٢١.

(٥) شرح الأصول الخمسة - ص ٦٨٩.

(٦) التهذيب في التفسير - ج ٨ - ص ٦١١٩.

وإذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم... ولأن الشفاعة لا تكون إلا في زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته وإنما هم أهل الثواب"<sup>(١)</sup>.

ويعلق ابن الملاحمي المعتزلي على هذه الآية قائلاً: إنها "تعم كل ظالم سواء ظلم غيره أو ظلم نفسه بالمعاصي، ونفي أن يكون لهم شفيع يجاب فيهم"<sup>(٢)</sup>.

ولرد عليهم أقول: إن المراد بالظالمين في هذه الآية: الكفار؛ يقول الإمام البيهقي (ت ٤٥٨ هـ - ١٠٦٦ م): "فالظالمون هاهنا هم الكافرون، ويشهد لذلك مفتاح الآية إذ هي في ذكر الكافرين"<sup>(٣)</sup>، ويقول ابن عطية: "ثم أخبر تعالى أن الظالمين ظلم الكفر هم في تلك الحال ليس لهم حميم، أي: قريب يهتم لهم ويتعصب، ولا لهم شفيع يُطاع فيهم، وإن همّ بعضهم بالشفاعة لبعض فهي شفاعة لا تُقبل"<sup>(٤)</sup>.

أو المراد بالظالمين في الآية: المشركون؛ لأن الظلم إذا أُطلق يراد به الشرك؛ يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: "إنما عنى به المشركون، إذ الشرك ظلم، كما قال تعالى: (إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)<sup>(٥)</sup>". ويقول ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٣ م) عن تفسير هذه الآية: "أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم

(١) تفسير الكشاف - ص ٩٥٣.

(٢) الفائق في أصول الدين - ص ٥٤٥.

(٣) شعب الإيمان - للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - ج ١ - ص ٢٨٠ - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٤) تفسير ابن عطية المسمى: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز - ص ١٦٣٢.

(٥) سورة لقمان - آية ١٣.

(٦) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري - من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك - عني بتحقيقه دانيال جيماريه - ص ١٦٩ - دار المشرق - بيروت - لبنان - ١٩٨٧ م.

الأسباب من كل خير" (١).

فالآية الكريمة نفت الشفاعة عن الكفار والمشركين، وأنه ليس لهم شفيع يشفع لهم بدفع الضر عنهم أو إيصال الخير أو النفع لهم.، أما أهل الكبائر فليسوا بكفار ولا مشركين؛ بل هم من أهل التوحيد؛ طالما أنهم ماتوا وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

٣- قوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ) (٢).

وجه الدلالة: استدلال المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة؛ حيث يقول القاضي عبد الجبار: "وقوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) يدل على أن الشفاعة لا تكون إلا لمن كانت طرائقه مرضية، وأن الكافر والفاسق ليسا من أهلها" (٣).

ويقول الجُشَمِي: "يدل قوله: (وَلَا يَشْفَعُونَ) أن الشفاعة لا تكون لأهل الكبائر؛ لأنه يحبط عملهم" (٤). بل ويذهب الزمخشري إلى أن الشفاعة إنما تكون لأهل الثواب وليست للعصاة من أهل الكبائر، وأن المراد بها في الآية هو زيادة الثواب ورفع الدرجات؛ حيث يقول: "ومن تحفظهم أنهم لا يجسرون أن يشفعوا إلا لمن ارتضاه الله وأهله للشفاعة في ازدياد الثواب والتعظيم" (٥).

وللرد عليهم أقول:

أولاً: من العجيب هنا أن القاضي عبد الجبار وأتباعه يضعون الكافر والفاسق في منزلة واحدة! وهذا

(١) تفسير القرآن العظيم - المجلد الثاني عشر - ص ١٨١.

(٢) سورة الأنبياء - آية ٢٨.

(٣) متشابه القرآن - القسم الأول - ص ٢٧٧.

(٤) التهذيب في التفسير - ج ٧ - ص ٤٨١٢.

(٥) تفسير الكشاف - ص ٦٧٧.

باطل؛ لأن الكافر هو من ليس بمؤمن، والفاسق هو الخارج عن الطاعة بالمعاصي من الذنوب والآثام.

كما أن هذا الكلام لا أساس له من الصحة؛ إذ يقرر الإمام أبو الحسن الأشعري أنه "يحتمل أن يكون معناه: إلا لمن ارتضى أن يشفع له، وهو يرتضى أن يشفع لفساق الملة؛ فيكون الرضا في هذا التأويل واقعاً على الشفاعة دون ذنوبهم، ويمكن أن يكون الرضا راجعاً إليهم من جهة إيمانهم وتوحيدهم لا من جهة فسقهم، ونظير ذلك أنك ترتضى النجار للنجارة ولا ترتضيه للبناء إذا لم يكن حاذقاً فيه؛ فقد رضيته من وجه وإن لم ترضه لغيره؛ فكذلك ارتضى الله تعالى مذنبى أهل الملة لإيمانهم؛ فجاز أن يشفع فيهم"<sup>(١)</sup>. ويذكر الإمام أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣ هـ - ٩٤٤ م) عند تفسيره لهذه الآية بطلان ونقض قول المعتزلة في الشفاعة؛ حيث يقول: "الشفاعة إنما جعلت في الأصل للتجاوز فيما دخل في العمل من التقصير، ثم لا يخلو الذي يشفع له إما أن يكون صاحب الصغيرة فيجوز أن يعذب عليها، أو أن يكون صاحب كبيرة ففيه دلالة التجاوز والعفو عن صاحب الكبيرة، لأننا قد قلنا: إن الشفاعة إنما جعلت لمن منه التقصير في العمل. ففيه دلالة نقض قول المعتزلة...: إن صاحب الصغيرة معفو عنه الصغيرة حتى لا يجوز أن يعذب عليها، وصاحب الكبيرة لا يجوز العفو عنه والتجاوز؛ بل هو معذب أبداً"<sup>(٢)</sup>. ويبين الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ - ١٢١٠ م) أن المعنى المراد من الآية هو أن الشفاعة إنما تكون للمؤمنين الموحدين قائلًا: "احتجت المعتزلة بقوله تعالى: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) على أن الشفاعة في الآخرة لا تكون لأهل الكبائر؛ لأنه لا يقال في أهل الكبائر إن الله يرتضيه. والجواب: قال ابن عباس - رضي الله عنه -

(١) مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري - ص ١٦٨، ١٦٩.

(٢) تأويلات القرآن - للإمام أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي - بتحقيق د. مراد سلون - ج ٩ - ص ٢٧٣. ط دار الميزان - استانبول - ٢٠٠٧ م.

والضحاك (إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) أي لمن قال لا إله إلا الله<sup>(١)</sup>؛ "أي: لمن هو مرضي عند الله بالتوحيد"<sup>(٢)</sup>.

ذكر الإمام البيهقي في كتابه: البعث والنشور؛ أن: "هذا يوجب أن تكون الشفاعة لأهل الكبائر يختص بها رسول الله ﷺ دون الملائكة، إنما يشفعون في الصغائر أو في استزادة الدرجات. وقد يكون القصد منه بيان كون المشفوع له مرتض بإيمانه وإن كانت له كبائر الذنوب دون الشرك. فيكون المراد بالآية نفي الشفاعة للكفار وأن أحدا من الملائكة المقربين ولا من الأنبياء المرسلين لا يجترئ على أن يشفع لأحد من الكافرين، فإن الله تعالى لم يأذن به ولم يرتض اعتقاده"<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: إن استدلال الزمخشري بالآية على أن المراد من الشفاعة الواردة فيها هو ازدياد الثواب والتعظيم برفع الدرجات غير صحيح، ولا يقبله العقل ولا المنطق؛ ومن العجيب أنه قصر الشفاعة على زيادة ثواب المرتضين ورفع درجاتهم! والذي دفعه وغيره من رجال المعتزلة إلى القول بهذا الرأي هو اعتقادهم أن المرضي عنهم هم أصحاب الثواب؛ لأن الفساق والفجار وأصحاب الكبائر عندهم ليس مرضياً عنهم! إذن لا مجال هنا لأن يحمل المعتزلة الشفاعة على زيادة الثواب أو رفع الدرجات.

(١) شرح الناظم على الجوهرية؛ وهو الشرح الصغير؛ المسمى: هداية المرید لجوهرية التوحيد - للإمام برهان الدين إبراهيم اللقاني - حققه وضبط حواشيه مروان حسين البجاوي - المجلد الثاني - ص ١١٣٧ - ط دار البصائر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

(٢) التيسير في التفسير - للإمام أبي حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي - بتحقيق ماهر أديب حبوش - ج ١٠ - ص ٣٨٥ - ط دار اللباب - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

(٣) البعث والنشور - للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - بتحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر - ص ٥٥ - الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

ثالثاً: أقول للمعتزلة ومن تبعهم: من هو المرضي عنه من وجهة نظركم؟! فإن أجابوا بأنه من لا يفعل المعاصي والذنوب. قلنا لهم: هذا جواب غير مقنع؛ كما "أنا لا نُسَلَمُ أن من ارتضى لا يتناول الفاسق؛ فإنه مرضي عنه من جهة الإيمان والعمل الصالح، وإن كان مبغوضاً من جهة المعصية، بخلاف الكافر المتصف بمثل العدل أو الجود؛ فإنه ليس بمرضي عند الله تعالى أصلاً؛ لفوات أصل الاعتداد بالحسنات وأساس الكمالات وهو الإيمان"<sup>(١)</sup>. ومن ثم فليس هناك ما يمنع من دخول صاحب الكبيرة تحت الارتضاء له بالشفاعة؛ لكونه من أهل التوحيد والإيمان والطاعة؛ بل على العكس تماماً فإن اتصافه بالتوحيد والإيمان يجعله أهلاً لاستحقاق الشفاعة.

٤- قوله تعالى: (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ)<sup>(٢)</sup>.

**وجه الدلالة:** استدل المعتزلة أيضاً على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر بهذه الآية؛ حيث يقول القاضي عبد الجبار: "يدل على أن من أخبر الله تعالى أنه بعدله لا يخرج من النار؛ فإذا صح أنه أخبر بذلك في الفجر والفسق فيجب ذلك فيهم، ويدل أيضاً على أنه ﷺ لا يشفع لهم؛ لأنه لو شفع لهم لوجب أن يكون منقذاً من النار، وقد نفى الله تعالى عنه ذلك"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الجسسي: "يدل قوله: (أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ) على أنه ﷺ لا يشفع لمن في النار؛ فيبطل قول المرجئة في الشفاعة... وأنه تعالى لا يخلف الوعد والوعد"<sup>(٤)</sup>.

**ولرد عليهم أقول:** يلاحظ هنا الربط الذي استخدمه المعتزلة بين نفي الشفاعة عن العصاة والفساق

(١) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - للإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي

- ج ٢٢ - ص ١٦٠ - ط دار الفكر - الطبعة الأولى - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٢) سورة الزمر - آية ١٩.

(٣) متشابه القرآن - القسم الأول - ص ٣١٨.

(٤) التهذيب في التفسير - ج ٨ - ص ٦٠٥٢.

من ناحية؛ وبين الوعد والوعيد من ناحية أخرى؛ لأن المسألتين عندهم متلازمتان!

والآية لا علاقة لها بالفساق أو العصاة من المؤمنين الموحدين، حيث "كان النبي ﷺ يحرص على إيمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة؛ فنزلت هذه الآية، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان"<sup>(١)</sup>، ويرد الإمام الرازي على استدلال القاضي عبد الجبار بهذه الآية على أن النبي ﷺ لا يشفع لأهل الكبائر يوم القيامة؛ قائلاً: "لا نسلم أن أهل الكبائر قد حق عليهم العذاب، وكيف يحق العذاب عليهم مع أن الله تعالى قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)<sup>(٢)</sup>، ومع قوله: (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا)<sup>(٣)</sup>، والله أعلم"<sup>(٤)</sup>.

٥- قوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ)<sup>(٥)</sup>.

**وجه الدلالة:** ما ذكره القاضي عبد الجبار قائلاً: "يدل على أن الفاسق لا يساوي المؤمن في الجنة والثواب، ولو كان الأمر كما يقول المرجئة، لكان قد ساواه في ذلك. وبين بما بعده ذلك مفصلاً؛

(١) تفسير القرطبي، المسمى ب: الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - بتحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش - ج٥ - ص٤٤٤ - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م. وورد أن سبب النزول المذكور هو عن عطاء. يُنظر: زاد المسير في علم التفسير - للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي - ص١٢٢٧ - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

(٢) سورة النساء - آية ٤٨، ١١٦.

(٣) سورة الزمر - آية ٥٣.

(٤) تفسير الرازي - ج٦ - ص٢٦٣.

(٥) سورة السجدة - آية ١٨.

فقال: (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا) (١) ولو كان الفاسق يخرج من النار، إما بانقطاع ما يستحقه من النار، أو بالشفاعة، لما صح ما ذكره تعالى من أنه كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، بل كان يجب أن يقال: إنهم يريدون الخروج فلا يعادون فيها! وهذا يكذب الظاهر!!" (٢).

ويقول الجُشَمِي: "يدل قوله: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا) أن المؤمن لا يكون فاسقًا، والفاسق لا يكون مؤمنًا، ولا يستويان في الدنيا والآخرة، فيصح قولنا في المنزلة بين المنزلتين، ويبطل قول المرجئة. ويدل أن المؤمن له الجنة والفاسق له النار، فيصح قولنا في الوعيد" (٣).  
**ولرد عليهم أقول:**

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة؛ ما يثبت مغفرة الله تعالى لذنوب ومعاصي المؤمنين الموحدين؛ فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (٤). فهذه الآية صريحة وواضحة وقاطعة في أن ما دون الشرك بالله؛ من الذنوب والمعاصي؛ فالله تعالى يغفرها ويتجاوز عنها برحمته وفضله.

وفي الحديث عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة". قلت: وإن زنى وإن سرق: قال: "وإن زنى وإن سرق". قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق". قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق".

(١) سورة السجدة - الآيتان ١٩، ٢٠.

(٢) متشابه القرآن - القسم الأول - ص ٣٠٥.

(٣) التهذيب في التفسير - ج ٨ - ص ٥٦٨.

(٤) سورة النساء - آية ٤٨، ١١٦.



على رغم أنف أبي ذر<sup>(١)</sup>. وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه -، قال: أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً فقال: يا رسول الله! ما الموجبتان؟ فقال: "من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار"<sup>(٢)</sup>.

والحديثان أيضاً واضحان وصريحان في أن أهل التوحيد الذين لا يشركون بالله شيئاً سيدخلون الجنة بمشيئة الله تعالى.

جاء في فتح القدير؛ أنه: "لا خلاف بين المسلمين أن المشرك إذا مات على شركه لم يكن من أهل المغفرة التي تفضل الله بها على غير أهل الشرك حسبما تقتضيه مشيئته، وأما غير أهل الشرك من عصاة المسلمين فداخلون تحت المشيئة، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء"<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ من خلال القراءة الأولية لتأويلات المعتزلة للآيات التي استندوا إليها في نفي الشفاعة عن أصحاب الكبائر أنها تأويلات بعيدة كل البعد عن المعنى المراد، وليس فيها ما ذهبوا إليه من نفي الشفاعة عن أهل الكبائر؛ لأن كل ما استدلوا به إنما هو خاص بغير المؤمنين والموحدين، وبذلك يتضح موقفهم الغريب من محاولة الزج بأية أدلة وتطويعها بما يروق لهم لتأييد مذهبهم؛ لكن استدلالهم بها باطل!

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب اللباس - باب: الثياب البيض - حديث رقم (٥٤٨٩) - ج ٥ - ص ١٩٣، وصحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار - حديث رقم (٩٤) - ج ١ - ص ١٢٤، ١٢٥. وزاد مسلم: "قال، فخرج أبو ذر وهو يقول: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ".

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار - حديث رقم (٩٣) - ج ١ - ص ١٢٢.

(٣) فتح القدير - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني - ج ١ - ص ٥٤٩ - الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.

ثم يقال لهم: هل من المنطق والمعقول والمقبول أن تحكموا على مرتكب الكبيرة بالكفر لكونه ارتكب معصية؟! وهل نسوي بين عصاة المؤمنين الموحدين الذين يشهدون لله تعالى بالوحدانية ولرسوله - ﷺ - بالرسالة؛ وبين الكفار والمشركين والوثنيين والملحدين؛ في الحكم على الطرفين بدخول النار والخلود فيها؟!!

كما أن زعمهم بأن أهل الكبائر لا يستحقون الشفاعة مبني على فهمهم الخاطئ للأدلة؛ التي يتضح من خلال ظاهرها وسياقها أنها تدل على الخلود في النار لمرتكبي بعض الذنوب والمعاصي؛ وهو ولا شك فهم بعيد عن المعنى المراد؛ لأن المراد بالخلود هو المكث الطويل.

### ثانياً: أدلتهم العقلية على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر:

من الأدلة العقلية التي استدلت بها المعتزلة على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر ما يأتي:

١- يرى المعتزلة أن الشفاعة للفاسق صاحب الكبيرة تُعد إثابة له، وهو لا يستحق ذلك؛ لأنهم يقررون أن "الفاسق يُخلد في النار أبد الأبدين ودهر الدهرين... فهو يستحق العقاب على طريق الدوام... ولا يجوز أن يدخل الجنة مثاباً؛ لأنه غير مستحق، وإثابة من لا يستحق الثواب قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح. فإن قيل: ومن أين أن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح؟ قلنا: لأن الثواب إنما يستحق على طريقة التعظيم والإجلال، وما هذا سبيله لا يحسن دون الاستحقاق؛ ولهذا فإنه لا يحسن من الواحد منا أن يعظم أجنبياً على الحد الذي يعظم والده" (١).

والناظر في هذا الدليل يرى أن القاضي عبد الجبار استخدم فيه قياس الغائب على الشاهد (٢)

(١) شرح الأصول الخمسة - ص ٦٦٦، ٦٦٧.

(٢) قياس الغائب على الشاهد معناه: إذا وجب الحكم والوصف للشيء في الشاهد لعلته ما؛ فيجب القضاء على أن من وُصف بتلك الصفة في الغائب فحكمه في أنه مستحق لها لتلك العلة حكم مستحقها في الشاهد. يُنظر: تمهيد

- ذلك القياس الذي يُعد أداة رئيسة ووسيلة مهمة لدى الفكر الاعتزالي في الأدلة العقلية - واعتمد عليه لإنكار الشفاعة لأهل الكبائر؛ إذ إنه ربط بين الشفاعة للعاصي صاحب الكبيرة أو إثابة من لا يستحق الثواب وجعله مساوياً للطائع المستحق للثواب، وبين جعل الأجنبي لا يستحق التعظيم كما يستحقه الوالد؛ لأنه يرى أن الولد إن فعل ذلك وعظم الأجنبي كما يُعظم والده فقد فعل قبيحاً!

٢- ما أورده القاضي عبد الجبار؛ من استنكار واستهجان الشفاعة لأهل الكبائر؛ حيث ذكر: "أن شفاعة الفساق الذين ماتوا على الفسوق ولم يتوبوا تنزل منزلة الشفاعة لمن قتل ولد الغير وترصد للآخر حتى يقتله؛ فكما أن ذلك يقبح فكذلك ههنا"<sup>(١)</sup>.

وهذا الدليل استخدم فيه أيضاً القاضي عبد الجبار قياس الغائب على الشاهد؛ حيث ربط بين عدم قبول الشفاعة لمن قتل ولد الغير وترصد للآخر حتى يقتله، وبين عدم قبول الشفاعة للفساق أو أهل الكبائر!

فهو ينطلق من الشاهد ويلحق به الغائب؛ ليبين لنا أن ما يُعد قبيحاً في الشاهد فهو قبيح في الغائب كذلك!

٣- من أدلتهم العقلية كذلك ادعائهم "أن الرسول - ﷺ - إذا شفع لصاحب الكبيرة؛ فلا يخلو: إما أن يشفع، أو لا؛ فإن لم يشفع لم يجز؛ لأنه يقدح بإكرامه، وإن شفع فيه لم يجز أيضاً؛ لأن إثابة من لا يستحق الثواب قبيح، وأن المُكَلَّف لا يدخل الجنة تفضلاً"<sup>(٢)</sup>.

الأوائل وتلخيص الدلائل - للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - ص ٣٢ - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(١) شرح الأصول الخمسة - ص ٦٨٨.

(٢) المرجع السابق - ص ٦٨٩.

وهذا الدليل فيه مغالطات كثيرة؛ منها:

أ- قول القاضي عبد الجبار: "فإن لم يشفع لم يجز؛ لأنه يقدح بإكرامه" ويقصد بذلك الرسول ﷺ، وأقول: إن للنبي ﷺ - عند ربه مكانة كبيرة وعالية لا تدانيها مكانة أي شخص آخر، ومن هذه المكانة العالية إكرامه - بالشفاعة<sup>(١)</sup>؛ التي وعده الله تعالى بها، والله سبحانه لا يخلف الميعاد؛ فكيف افترض القاضي عبد الجبار عدم شفاعة النبي ﷺ؟!

ب- ما ذكره القاضي عبد الجبار من: "أن المُكَلَّف لا يدخل الجنة تفضلاً" فيا لله العجب من هذا الزعم الباطل! إذ إنه يرى أن دخول المُكَلَّف الجنة متوقف على عمله فقط؛ لأنه على حد كلامه لن يدخل الجنة أحدٌ بفضل الله تعالى ورحمته وكرمه وجوده! وهذا ادعاء غير صحيح؛ بدليل قوله ﷺ: (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ)<sup>(٢)</sup>. أي: "الذي أعطانا هذه المنزلة، وهذا المقام من فضله ومنه ورحمته، لم تكن أعمالنا تساوي ذلك"<sup>(٣)</sup>، وفي الحديث عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - قال: "سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يُدخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ... الحديث"<sup>(٤)</sup>. فالآية والحديث دالان دلالة واضحة وصریحة وقاطعة على أن دخول الجنة إنما هو بفضل الله تعالى ورحمته، ومن ثمَّ فليس هناك ما يمنع من شفاعة النبي ﷺ - فيما أراد الله وشاء أن يشفع فيه، وبذلك يبطل زعم وادعاء القاضي عبد الجبار.

٤ - ومما يستدل به المعتزلة كذلك على إنكارهم الشفاعة لأهل الكبائر؛ قولهم: "دلت الدلالة على أن العقوبة تستحق على طريق الدوام؛ فكيف يخرج الفاسق من النار بشفاعة النبي ﷺ - والحال ما تقدم"<sup>(٥)</sup>.

(١) سيأتي الحديث عنها في المبحث الثالث إن شاء الله.

(٢) سورة فاطر - آية ٣٥.

(٣) تفسير ابن كثير - ج ١١ - ص ٣٣٠.

(٤) رواه البخاري في صحيحه - باب: القصد والمداومة على العمل - حديث رقم (٦٤٦٤) - ج ٩ - ص ٤٩.

(٥) شرح الأصول الخمسة - ص ٦٨٩.

وهذا فهم خاطئ من المعتزلة؛ لأن: أدلتهم في نفي الشفاعة عامة في الأشخاص والأوقات؛ وإلا لم يدخل محل الخلاف فيها، أما أدلتنا فهي خاصة في الأشخاص والأوقات؛ لأننا لا نثبت الشفاعة إلا لبعض الأشخاص في بعض الأوقات... والخاص مقدم على العام<sup>(١)</sup>، وإذا كان الأمر كذلك فلا ريب في أن الأدلة التي تثبت الشفاعة مقدمة على أدلتهم العامة التي تدل على أن العقوبة دائمة أو مستمرة.

والحقيقة إن كل ما سبق من استدلالات للمعتزلة لمحاولة تأييد قولهم بنفي الشفاعة لأهل الكبائر، وعدم استحقاقهم لها؛ ما هي إلا شبّهات باطلة واهية، وأوهام ومغالطات غير منطقية؛ فمهما حاولوا أن يستدلوا بالدلائل النقلية أو العقلية لإثبات رأيهم تجاه إنكار شفاعة الرسول - ﷺ ل- أصحاب الكبائر؛ إلا أنها محاولات بائسة ويائسة منهم؛ لكونها تتنافى وتتعارض مع الأدلة الصريحة الصحيحة التي لا لبس فيها والتي تثبت شفاعة النبي ﷺ للعصاة أو الفساق خاصة أهل الكبائر من الموحدين.

ومن العجيب أن أبا الهذيل العلاف له رأي آخر؛ إذ يقول: "إن الشفاعة إنما تثبت لأصحاب الصغائر"<sup>(٢)</sup>! لكن القاضي عبد الجبار رفض ذلك الرأي قائلاً: "وذلك لا يصح؛ لأن الصغائر تقع مكفرة في جنب الطاعات"<sup>(٣)</sup>، وهكذا تخبط وخلط واضح من رجال المعتزلة تجاه مسألة الشفاعة؛ لإصرارهم الذي ليس له تبرير ولا وجه من الصحة على تخليد أهل الكبائر في النار؛ لأنهم يرون أن الله ﷻ توعد بذلك؛ ومن ثمّ فلا شفاعة عندهم لأهل الكبائر!

(١) الأربعين في أصول الدين - للإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي - بتحقيق د. أحمد حجازي السقا - ج ٢ - ص ٢٥٠. مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

(٢) شرح الأصول الخمسة - ص ٦٩١.

(٣) المرجع السابق الصفحة نفسها.

## المبحث الرابع

## إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، والدليل عليها

قبل الحديث عن إثبات الشفاعة لأهل الكبائر في اليوم الآخر؛ أرى أنه من الأهمية بمكان الحديث عن شفاعات الرسول ﷺ؛ لكونها واحدة من شفاعاته ﷺ الكثيرة يوم الفصل؛ فأقول وبالله التوفيق:

إن للرسول ﷺ شفاعات عديدة يوم القيامة؛ وقد ذكرها صاحب العقيدة الطحاوية؛ منها ما يأتي:

١ - الشفاعة الأولى: وهي العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين<sup>(١)</sup>.

وورد ذكر هذه الشفاعة صراحة في القرآن الكريم؛ فالله تعالى قال لنبيه سيدنا محمد ﷺ:

(عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)<sup>(٢)</sup>؛ ويرى أهل العلم أن المقام المحمود هنا: "هو الشفاعة في إسقاط العقاب على ما هو مذهب أهل السنة"<sup>(٣)</sup>؛ والمراد بذلك: "شفاعة يوم القيامة... يُشَفِّعُهُ اللهُ فِي أُمَّتِهِ"<sup>(٤)</sup>، إنه مقام الشفاعة العظمى في اليوم الآخر الذي يحمد فيه الأولون والآخرون؛ وذلك حينما يشتد الموقف، ويحل بالناس البلاء، ويصعب عليهم الانتظار والوقوف؛ فيذهبون إلى بعض الأنبياء والمرسلين ليستشفعوا لهم عند ربهم؛ ليصرفهم من تعب ومشقة وعناء وهول ذلك الموقف الصعب الشديد، وشدة ذلك اليوم الطويل؛ لكن هؤلاء الأنبياء والمرسلين يعتذرون لهم حياءً وخجلاً من ربهم ﷻ؛ ويظهرون لهم حجتهم، ثم يذهبون إلى رسول الله ﷺ؛ فيرفق بأمته، ويرأف لحالهم، ويطلب من ربه ﷻ الشفاعة لهم؛ فيشفع ﷺ؛ فيشفعه الله ﷻ فيمن يشاء، ويدل

(١) ينظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - ص ١٧٤.

(٢) سورة الإسراء - آية ٧٩.

(٣) تفسير الرازي - ج ٢١ - ص ٣٢.

(٤) المرجع السابق - ج ١٥ - ص ٤٦.

على ذلك ما روي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك؛ فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؛ فيأتون آدم عليه السلام؛ فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؛ فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن اتوا نوحاً، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض؛ فيأتون نوحاً؛ فيقول: لست هناك، ويذكر خطيئته التي أصاب، ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن؛ فيأتون إبراهيم؛ فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطاياهم التي أصابها، ولكن اتوا موسى، عبداً آتاه الله التوراة وكلمه تكليماً، فيأتون موسى؛ فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن اتوا عيسى، عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه؛ فيأتون عيسى؛ فيقول: لست هناك، ولكن اتوا محمداً صلى الله عليه وسلم، عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فيأتونني فأنطلق فأستأذن على ربي؛ فيؤذن لي عليه؛ فإذا رأيت ربي وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يستمع، وسل تعطه، واشفع تشفع. فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود"<sup>(١)</sup>. وفي هذا دلالة على محبة الله صلى الله عليه وسلم لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم؛ وعلو شأنه ومكانته عند ربه صلى الله عليه وسلم؛ إذ اختصه بالشفاعة دون سائر الأنبياء والمرسلين،

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب التوحيد - باب: قول الله تعالى: (لما خلقت بيدي) - حديث رقم (٦٩٧٥) - ج ٦ - ص ٢٦٩٥، ٢٦٩٦، وصحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها - حديث رقم (١٩٣) - ج ٣ - ص ٦٥-٧١.

وكذلك فضل الله وكرمه وامتنانه على عباده في ذلك اليوم؛ حيث إن كثيراً منهم سينجو من النار بسبب تلك الشفاعة؛ فهي تفضل من الله سبحانه.

٢- النوع الثاني من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة<sup>(١)</sup>. قال الإمام النووي<sup>(٢)</sup>: "وظهر لي بالتتبع شفاعاة أخرى، وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة ومستندها أخرج الطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد"<sup>(٣)</sup>.

٣- النوع الثالث من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها. عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "قال رسول الله ﷺ: "توضع للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه، أو قال: لا أقعد عليه، قائم بين يدي ربي متصبباً بأمتي؛ مخافة أن يبعث بي إلى الجنة وتبقى أمتي بعدي، فأقول: يا رب، أمتي أمتي؛ فيقول الله تعالى: يا محمد، ما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب، اعدل حسابهم؛ فيدعى بهم فيحاسبون؛ فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي؛ فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار، حتى إن مالكاً خازن النار ليقول: يا محمد، ما تركت لغضب ربك من أمتك من نقمة"<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - ص ١٧٧.

(٢) ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - ج ١١ - ص ٤٢٨ - ط المكتبة السلفية.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - بتحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي - ج ١١ - ص ١٨٩ - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - الطبعة الثانية.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير - ج ١٠ - ص ٣١٧.



٤- النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات.

روي أن رسول الله ﷺ قال: "اللهم! اغفر لعبيد، أبي عامر... اللهم! اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك، أو من الناس... اللهم! اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه. وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً"<sup>(١)</sup>.

٥- النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، ويستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن<sup>(٢)</sup> - (رضي الله عنه) -، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

٦- النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه<sup>(٣)</sup>.

٧- النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، كما تقدم. وفي صحيح مسلم

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم - باب: من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين، (رضي الله عنه) - حديث رقم (١٩٤٤) - ج٤ - ص٩٤٣.

(٢) عن أبي هريرة - (رضي الله عنه) - أن النبي ﷺ قال: "يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب" فقال رجل: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال: "اللهم اجعله منهم" ثم قام آخر. فقال: يا رسول الله؛ ادع الله أن يجعلني منهم. قال: "سبقك بها عكاشة". صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب - حديث رقم (٢١٦) - ج٣ - ص١١٠.

(٣) عن العباس بن عبد المطلب؛ أنه قال: يا رسول الله! هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم. هو في ضحضاح من نار. ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار". صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: شفاعته النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه - حديث رقم (٢٠٩) - ج٣ - ص١٠٤.

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنا أول شفيع في الجنة"<sup>(١)</sup>.

٨- النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها<sup>(٢)</sup>. ففي صحيح

البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سَفْعٌ"<sup>(٣)</sup>؛ فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجَهَنَّمِيِّينَ"<sup>(٤)</sup>.

وهذا النوع الأخير من الشفاعة هو الذي عليه مدار بحثنا.

إن الشفاعة؛ والتي هي سؤال الخير من الغير للغير؛ حق وواقعة إن شاء الله في اليوم الآخر؛ ولا سيما لأهل الكبائر أصحاب الذنوب العظيمة؛ لأنهم أشد الناس حاجة لها في ذلك اليوم، وهي ثابتة بالنصوص القطعية الصريحة الصحيحة المتواترة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبإجماع الأمة.

**فمن أدلتهم من القرآن الكريم؛ ما يأتي:**

١ - قوله تعالى: (رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيْمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ)<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً" - حديث رقم (١٩٦) - ج ٣ - ص ٨٨. ونص الحديث كما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه -: "أنا أول شفيع في الجنة. وأنا أكثر الأنبياء تبعاً".

(٢) ينظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - ص ١٧٧، ١٧٨.

(٣) سَفْعٌ: هو نوع من السواد... وَسَفَعْتُهُ النَّارُ وَالشَّمْسُ وَالسَّمُومُ تَسْفَعُهُ سَفْعًا فَتَسْفَعُ: لَفَحَتْهُ لَفْحًا يَسِيرًا فَغَيَّرَتْ لَوْنَ بَشَرَتِهِ وَسَوَّدَتْهُ. ينظر: لسان العرب - المجلد الثامن - ص ١٥٧، ١٥٦ - مادة (سفع).

(٤) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب: صفة الجنة والنار - حديث رقم (٦١٩١) - ج ٥ - ص ٢٤٠٠، ٢٣٩٩.

(٥) سورة آل عمران - آية ١٩٣.

يقول الإمام الرازي عند تفسيره لهذه الآية: "احتج أصحابنا بهذه الآية على أن شفاعة محمد ﷺ في حق أصحاب الكبائر مقبولة يوم القيامة؛ وذلك لأن هذه الآية دلت على أن هؤلاء المؤمنين طلبوا من الله غفران الذنوب مطلقاً من غير أن قيدوا ذلك بالتوبة، فأجاب الله قولهم وأعطاهم مطلوبهم فإذا قبل شفاعة المؤمنين في العفو عن الذنب، فلأن يقبل شفاعة محمد ﷺ فيه كان أولى" (١).

٢- قوله ﷺ: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) (٢).

جاء في تفسير القرطبي عند تفسير هذه الآية: "وللمؤمنين والمؤمنات" أي ولذنوبهم. وهذا أمر بالشفاعة" (٣).

٣- قوله عز من قائل: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) (٤).

يقول الإمام الرازي: "ويلزم من مجموع ذلك: أن الله تعالى يقبل شفاعة محمد ﷺ في حق الفساق" (٥).

وذهب كثير من أهل التفسير إلى أن المراد بالآية؛ هو الشفاعة.

٤- قوله سبحانه: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا. وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا) (٦).

يقول الإمام الرازي: "الآية دالة على حصول الشفاعة لأهل الكبائر" (٧).

(١) تفسير الرازي - ج ٩ - ص ٦٨٤.

(٢) سورة محمد - آية ١٩.

(٣) تفسير القرطبي - ج ١٦ - ص ٢٤٢.

(٤) سورة الضحى - آية ٥.

(٥) الأربعين في أصول الدين - ج ٢ - ص ٢٤٥.

(٦) سورة مريم - الآيتان ٨٥، ٨٦.

(٧) الأربعين في أصول الدين - ج ٢ - ص ٢٤٦.

وأما أدلتهم من السنة النبوية؛ فمنها ما يأتي:

١- ففي الحديث النبوي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" <sup>(١)</sup>.

يقول ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ - ٩٢٣ م) معلقاً على هذا الحديث: "فإنما أراد شفاعتي بعد هذه الشفاعة، التي قد عمت جميع المسلمين - الشفاعة العظمى - هي شفاعة لمن قد أدخل النار، من المؤمنين، بذنوب وخطايا، قد ارتكبوها، لم يغفرها الله لهم في الدنيا؛ فيخرجوا من النار بشفاعته" <sup>(٢)</sup>.

ولكن وبكل أسف عارض المعتزلة هذا الحديث، وأنكروه، وحثتهم في ذلك ما ذكره

(١) رواه أبو داود في سننه - للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني - بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين - كتاب السنة - باب: في الشفاعة - ج٧ - ص١١٩ - حديث رقم (٤٧٣٩) - ط دار الرسالة العالمية - دمشق - سوريا، ورواه الترمذي في سننه - أبواب صفة القيامة والرقائق والورع - باب: ما جاء في الشفاعة - ج٤ - ص٢٣١ - حديث رقم (٢٤٣٦، ٢٤٣٥)، ورواه ابن ماجة في سننه - كتاب الزهد - باب ذكر الشفاعة - حديث رقم (٤٣١٠) - ج٢ - ص١٤٤١ - ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ولفظ الحديث عنده: "إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي"، ورواه الإمام أحمد في مسنده - حديث رقم (١٣٢٢٢) - ج٢٠ - ص٤٣٩، ورواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا - حديث رقم (٢٣٠) - ج١ - ص١٤٠ - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م. وقال الحاكم: "وله شاهد صحيح على شرط مسلم"، ومسنده أبي داود الطيالسي - أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود - بتحقيق د. محمد بن عبد المحسن التركي - ج٣ - ص٢٥٠ - الناشر: دار هجر - مصر - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م. وفيه زيادة نصها: "قال: فقال لي جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة".

(٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - بتحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهبان - ج٢ - ص١٥٥ - الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض - الطبعة الخامسة - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

القاضي عبد الجبار؛ من "أن هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي - ﷺ -، ومسألتنا طريقها العلم؛ فلا يصح الاحتجاج به" (١).

ولرد عليه؛ أقول:

إن هذا الحديث صحيح، ورواه جمع كبير من أهل الحديث من أصحاب السنن والمسانيد بطرق صحيحة عن كثير من الصحابة - ﷺ -، وأجمعوا على صحته. ودليل ذلك ما ذكره ابن الوزير اليماني (ت ٨٤٠ هـ - ٤٣٦ م) قائلاً: "أحاديث الشفاعة المصرحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع، وهي قاطعة في ألفاظها... لورودها عن عشرين صحابياً أو تزيد في الصحاح والسنن والمسانيد، وأما شواهداها بغير لفظها فقاربت خمسمائة حديث" (٢).

بل ويرى الإمام السخاوي (ت ٩٠٢ هـ - ١٤٩٧ م) أن: "الأحاديث التي وصفت بالتواتر؛ حديث الشفاعة والحوض، وأن عدد رواتهما من الصحابة زاد على أربعين" (٣).

٢- وعن أبي موسى الأشعري - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: "خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل الله ﷻ نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة؛ لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين؟ لا. ولكنها للمذنبين، الخطائين المتلوثين" (٤).

(١) شرح الأصول الخمسة - ص ٦٩٠.

(٢) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد - ابن الوزير، محمد الحسيني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليميني - بتحقيق علي حسين علي - ص ٣٥٩ - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية - ١٩٨٧ م.

(٣) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي - شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي - بتحقيق علي حسين علي - ج ٤ - ص ٢٢ - الناشر: مكتبة السنة - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه - كتاب الزهد - باب: ذكر الشفاعة - حديث رقم (٤٣١١) - ج ٢ - ص ١٤٤١.

٣- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: "لقد ظننت، يا أبا هريرة، أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قبل نفسه" <sup>(١)</sup>.

٤- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يُصَدِّقُ قَلْبُهُ لِسَانَهُ، وَلِسَانُهُ قَلْبَهُ" <sup>(٢)</sup>. ولا ريب في أن هذه النصوص خاصة بأهل الكبائر.

٥- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعاً لأمتي في الآخرة" <sup>(٣)</sup>. قال القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م): "قال أهل العلم: معناه دعوة أعلم أنها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم، وإلا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة، ولنبينا ﷺ منها ما لا يُعد؛ لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف، وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءه يدعو بها على يقين من الإجابة" <sup>(٤)</sup>.

وذكر الحافظ بن حجر (ت ٨٥٢ هـ - ١٤٤٩ م) نقلاً عن ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ -

(١) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب: صفة الجنة والنار - حديث رقم (٦٢٠١) - ج ٥ - ص ٢٤٠٢، والإمام أحمد في مسنده - حديث رقم (٨٨٥٨) - ج ٤ - ص ٤٤٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده - حديث رقم (٨٠٧٠) - ج ١٣ - ص ٤٣٣، ٤٣٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه - كتاب الدعوات - باب: لكل نبي دعوة مستجابة - حديث رقم (٥٩٤٥) - ج ٥ - ص ٢٣٢٣، وصحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان - باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته - حديث رقم (١٩٨) - ج ٢ - ص ٩٨، ٩٩.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى - أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي - وبذيله الحاشية المسماة: مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء - لأحمد بن محمد بن محمد الشمني - ج ١ - ص ٢٢٣ - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

١٢٠١م) في التعليق على هذا الحديث قوله: "هذا من حُسن تصرفه ﷺ؛ لأنه جعل الدعوة فيما ينبغي، ومن كثرة كرمه لأنه أثر أُمَّته على نفسه، ومن صحة نظره؛ لأنه جعلها للمذنبين من أُمَّته؛ لكونهم أحوج إليها من الطائعين"<sup>(١)</sup>.

وهذا الإيثار واضح جلي؛ حيث إن الرسول ﷺ لم يقدم مصلحته ولا حاجته الخاصة على مصلحة وحاجة أُمَّته! بل ما حصل هو العكس! إذ إنه ﷺ ادخر هذه الدعوة المستجابة لهم في اليوم الآخر؛ رحمة بهم، وشفقة وعطفًا عليهم، وشفاعة لهم.

كما أجمع أهل العلم من المسلمين على إثبات شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر، ومن ذلك ما يأتي:

١- تحدث الإمام أبو حنيفة النعمان (ت ١٥٠ هـ - ٧٦٧م) عن إثبات الشفاعة؛ قائلاً: "وشفاعة النبي ﷺ للمؤمنين المذنبين ولأهل الكبائر منهم المستوجبين العقاب حق ثابت"<sup>(٢)</sup>.

٢- وقال الإمام الأشعري: "قال أهل السنة والاستقامة بشفاعة رسول الله ﷺ لأهل الكبائر من أُمَّته"<sup>(٣)</sup>، وقال في موضع آخر: "وأجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أُمَّته، وعلى أنه يخرج من النار قوماً من أُمَّته بعد ما صاروا حمماً، فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ج ١١ - ص ٩٧.

(٢) الفقه الأكبر - للإمام أبي حنيفة النعمان - ص ٦١ - الناشر مكتبة الفرقان - الإمارات العربية - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

(٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - للإمام الأشعري - ص ٤٧.

الحبة في حَمِيلِ<sup>(١)</sup> السَّيْلِ<sup>(٢)</sup>.

٣- ويقول الإمام الطحاوي (ت ٣٢١ هـ - ٩٣٣ م) في العقيدة الطحاوية: "والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار"<sup>(٣)</sup>.

٤- ويقول الإمام البغدادي عند حديثه عن بيان الأصول التي اجتمعت عليها أهل السنة: "وقالوا بإثبات الشفاعة من النبي ﷺ، ومن صلحاء أمته للمذنبين من المسلمين، ولمن كان في قلبه ذرة من الإيمان، والمنكرون للشفاعة يُحَرِّمُونَ الشَّفَاعَةَ"<sup>(٤)</sup>.

٥- وذكر الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٣ - ١٠٧٠ هـ): أن إثبات الشفاعة... ركن من أركان اعتقاد أهل السنة، وهم مجمعون أن تأويل قول الله ﷻ (عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا)<sup>(٥)</sup>. المقام

(١) جاء في صحيح البخاري: عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما، فيلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، أو قال: حمية السيل. وقال النبي ﷺ: ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية". أخرجه البخاري في صحيحه - باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب - حديث رقم (٦٥٦٠) - ج٩ - ص٦٦.

(٢) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب - للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - تحقيق ودراسة عبد الله شاكر محمد الجندي - ص١٦٤ - ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٣ هـ.

(٣) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - ص١٧٣.

(٤) الفرق بين الفرق - البغدادي - ص٢٤٣.

(٥) سورة الإسراء - آية ٧٩.



المحمود هو: شفاعته ﷺ في المذنبين من أمته (١).

٦- ويقول الإمام الرازي في إثبات الشفاعة لأهل الكبائر: "القول بشفاعة الرسول ﷺ في حق فساق الأمة حق خلافاً للمعتزلة" (٢).

٧- وأثبت الإمام أبو منصور الماتريدي الشفاعة لأهل الكبائر؛ حيث يقول: "الشفاعة من أعظم ما احتج بها، وقد جاء القرآن بها والآثار عن رسول الله - ﷺ -، والشفاعة في المعهود والمتعالم من الأمر تكون عند زلات يستوجب بها المقت والعقوبة فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الأخيار وأهل الرضا" (٣).

٨- ويقول الإمام أبو اليسر البزدوي (ت ٤٩٣ هـ - ١١٠٠ م): "الشفاعة لأهل الكبائر حق عند أهل السنة والجماعة؛ فيشفع الرسل والأنبياء والعلماء لأهل الكبائر" (٤).

٩- وقال القاضي عياض: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً ووجوبها سمعاً بصريح الآيات... ويخبر الصادق ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبى المؤمنين، وأجمع السلف والخلف، ومن بعدهم من أهل السنة عليها (٥).

(١) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر - بتحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض - ج٢ - ص٥٢٠ - الناشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢) معالم أصول الدين - للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي - بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد - ص١٣٣ - الناشر دار الكتاب العربي - لبنان.

(٣) التوحيد - للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي - بتحقيق د. فتح الله خليف - ص٣٦٥ - الناشر دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.

(٤) أصول الدين - للإمام أبي اليسر محمد البزدوي - بتحقيق د. هانز بيتر لينس - ضبطه وعلق عليه د. أحمد حجازي السقا - ص١٦٦ - الناشر المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم - ج٣ - ص٣٥.

١٠ - وتحدث الإمام ابن تيمية عن مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة شفاعة الرسول ﷺ في أصحاب الكبائر؛ قائلاً: "ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر، ولا يخلد أحد في النار من أهل الإيمان؛ بل يخرج من النار من في قلبه حبة من إيمان، أو مثقال ذرة"<sup>(١)</sup>.

هذا غيظ من فيض من أقوال أهل العلم والحق والفضل من علماء الإسلام؛ حول إثبات شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر الذين ماتوا على التوحيد، والإجماع على ذلك.

### أدلة أهل العلم العقلية على إثبات شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر:

هناك الكثير من الأدلة العقلية على إثبات شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر؛ منها:

١ - ما ذكره أبو سعيد النيسابوري (ت ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م) من "أن قبول الشفاعة للعصاة ليس مما يحيله العقل؛ فإن من عصى مالكة وخالقه لا يستقبح في العقل أن تتشفع إليه بعض المختصين به، حتى يعفو عنه، وإذا كان جائزاً في العقل؛ فالسنة المستفيضة قد وردت به موجب الإيمان به؛ فإن حملوه - أي المعتزلة - على الشفاعة لرفع الدرجات لم يصح؛ لأن في الخبر عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"<sup>(٢)</sup>، وفي خبر آخر أنه يجيء إليهم فيخرجهم من النار"<sup>(٣)</sup>.

(١) مجموعة الرسائل والمسائل - ابن تيمية - ج١ - ص ١١ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) في الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - : "... ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية... فيخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة". مسند الإمام أحمد بن حنبل - حديث رقم (١٢١٥٣) - ج١٩ - ص ١٩٦ - ١٩٨ .

والمطيعين لا يكونوا في النار عندهم" (١).

٢- ما جاء في كتاب: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار؛ من "أن النبي ﷺ كان يصلي على المذنب وعلى غير المذنب من أمته، وكذلك أصحابه - ﷺ - وإلى يومنا هذا؛ فلو كان الميت المذنب لا يشفع فيه ولا ينفعه الدعاء لما كان للصلاة عليه معنى" (٢).

وفي نهاية المطاف أقول: إن الحقيقة التي يمكن استنتاجها والوصول إليها من خلال استقراء الآراء والنصوص والأدلة الواردة في هذه المسألة؛ أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر في الآخرة من الأمور الغيبية؛ الثابتة بالنصوص الصريحة الصحيحة التي لا تقبل الشك أو الظن؛ فلا مجال مطلقاً لإنكارها أو محاولة الشك فيها، وأن ما زعمته المعتزلة، ومن مال إلى رأيهم؛ من نفي للشفاعة؛ لا يستند إلى أدلة معتبرة أو حجج وبراهين قوية! بل إنها مجرد شبهات وأباطيل لا قيمة لها ولا فائدة منها! ومن ثم ينبغي الإيمان والتسليم والاعتراف بشفاعة سيدنا محمد ﷺ لأصحاب الكبائر في اليوم الآخر، إنها تكريم من الله تعالى لنبيه ورسوله الكريم سيدنا محمد ﷺ؛ كما أنها منة وتفضل من الله تعالى على عباده المؤمنين الموحدين ورحمة بهم.

(١) الغنية في أصول الدين - أبو سعيد عبد الرحمن النيسابوري - بتحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - ص١٧٢، ١٧٣ - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٧ م.  
(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار - يحيى بن أبي الخير العمراني - بتحقيق سعود بن عبدالعزيز الخلف - ج٣ - ص٦٩٦ - الناشر: أضواء السلف - الرياض - السعودية - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله ﷺ، وبعد الانتهاء من هذا البحث؛ فقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج، أهمها ما يأتي:

١. إن المعتزلة فرقة إسلامية كلامية نشأت في البصرة، في النصف الأول من القرن الثاني الهجري في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي.
٢. إن نشأة المعتزلة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بواصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد.
٣. الشفاعة هي: السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه.
٤. تنقسم الشفاعة قسمين: الشفاعة في الدنيا، والشفاعة في الآخرة.
٥. تعتقد المعتزلة بثبوت الشفاعة للنبي ﷺ؛ ولكنهم يرون أنها خاصة بمرتكبي الصغائر، والتائبين من المؤمنين.
٦. ترى المعتزلة أن الشفاعة قاصرة فقط على رفع الدرجات في الجنة وزيادة المثوبات.
٧. إن المعتزلة أنكروا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر يوم القيامة؛ كما تبعهم في ذلك الزيدية، وبعض الطوائف؛ كالقرآنيين، وبعض الأشخاص؛ كالدكتور مصطفى محمود، وسبقهم الخوارج في هذه المسألة.
٨. أولت المعتزلة الآيات الواردة في الشفاعة بتأويلات غير صحيحة، وأنكروا الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة فيها، وتمسكوا بشبهات باطلة واهية، وأوهام، ومغالطات ليست مقبولة لا منطقاً ولا عقلاً.
٩. للنبي ﷺ شفاعات عديدة يوم القيامة؛ منها شفاعته ﷺ لأهل الكبائر.
١٠. إن مرتكب الكبيرة - عند المعتزلة - ليس بمؤمن وليس بكافر فهو في منزلة بين المنزلتين، وإذا

- مات من غير توبة فهو مخلد في النار؛ لكن عذابه أخف من عذاب الكافر والمشرك.
- ١١ . استدل المعتزلة على إنكارهم شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر يوم القيامة بأدلة نقلية وعقلية أولوها تأويلات باطلة وبعيدة عن معناها المراد.
- ١٢ . إن أبا هاشم الجبائي المعتزلي خالف المعتزلة في إنكارهم شفاعة الرسول ﷺ لأهل الكبائر في اليوم الآخر؛ حيث يرى أن الشفاعة تصح مع كون الشفيع ساخطاً، وقد تصح بلا توبة.
- ١٣ . إن دخول الجنة إنما هو بفضل الله تعالى ورحمته ومشيئته؛ ولكن ليس هناك ما يمنع من شفاعة النبي ﷺ فيما أراد الله وشاء أن يشفع فيه.
- ١٤ . إن الحقيقة التي يمكن استخلاصها في هذه المسألة أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من الأمور الغيبية الثابتة بالنصوص الصريحة الصحيحة من الكتاب، والسنة النبوية، والإجماع؛ والعقل، وهذا ما ذهب أهل السنة والجماعة ومن تبعهم من أهل الحق؛ ومن ثم ينبغي الإيمان والتسليم بها.
- والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به وأن يرزقنا الحق والصواب إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم - كتاب الله تعالى - .

١ . أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري - د. عبدالحكيم بلبع - ط مكتبة نهضة مصر  
بالفجالة - القاهرة .

٢ . الأذكار النووية - للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي - بتحقيق عامر بن علي  
ياسين - دار ابن خزيمة - الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ -  
٢٠٠١ م .

٣ . الأربعين في أصول الدين - للإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي - بتحقيق د. أحمد  
حجازي السقا - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٤ . الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي  
والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد  
البر - بتحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت -  
لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٥ . أصول الدين - للإمام أبي اليسر محمد البزدوي - بتحقيق د. هانز بيتر لينس - ضبطه وعلق  
عليه د. أحمد حجازي السقا - الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة - ١٤٢٤ هـ -  
٢٠٠٣ م .

٦ . أمالي المرتضى - غرر الفوائد ودرر القلائد - للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي  
العلوي - بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - الطبعة  
الأولى - ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

٧ . الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار - يحيى بن أبي الخير العمراني - بتحقيق

- سعود بن عبدالعزيز الخلف - الناشر: أضواء السلف - الرياض - السعودية - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٨. الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد - أبوالحسين عبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط - تحقيق د. نبيرج - ط مكتبة الدار العربية للكتاب - القاهرة ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م.
٩. الأنساب - للإمام أبي سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني - بتعليق الشيخ عبدالرحمن اليماني - الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر.
١٠. إثبات الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد - ابن الوزير، محمد الحسن القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين اليماني - بتحقيق علي حسين علي - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية - ١٩٨٧ م.
١١. أهم الفرق الإسلامية السياسية والكلامية - د. ألبير نصري نادر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت - لبنان.
١٢. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - للشيخ أبي الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي - تحقيق د. بسام علي العموش - ط مكتبة المنار الزرقاء - الأردن - الطبعة الأولى - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١٣. البعث والنشور - للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - بتحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر - الناشر: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
١٤. التاريخ الإسلامي - محمود شاكر - ط المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة السابعة - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٥. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - د. حسن إبراهيم حسن - دار الجيل - بيروت - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الرابعة عشرة - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

- ١٦ . تاريخ الدولة الفارسية في العراق - علي ظريف الاعظمي - ط مطبعة الفرات - بغداد - ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م.
- ١٧ . تاريخ الفلسفة الإسلامية - هنري كوربان - ترجمة: نصير مروة، وحسن قبيسي - عويدات للنشر والطباعة - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٩٩٨ م.
- ١٨ . التبصرة في العدل والتوحيد - المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني - بتحقيق عبدالله إسماعيل هاشم الشريف - مطبوعات مكتبة مركز بدر - صنعاء - اليمن - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ١٩ . تأويلات القرآن - للإمام أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي - بتحقيق د. مراد سلون - ط دار الميزان - استانبول - ٢٠٠٧ م.
- ٢٠ . التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين - للإمام أبي المظفر الإسفراييني - تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري - الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة.
- ٢١ . التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع - لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي - عني بتصحيحه س . ديد رينغ - ط المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - بيروت - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٢٢ . التعريفات - للعلامة علي بن محمد الشريف الجرجاني - مكتبة لبنان - بيروت - ١٩٨٥ م.
- ٢٣ . تفسير ابن عطية المسمى: المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز - لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي - ط دار ابن حزم.
- ٢٤ . تفسير الطبري المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - بتحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي - ج٦ - ص٦٥٢ - دار هجر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.



٢٥. تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - للإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين الرازي - ط دار الفكر - الطبعة الأولى - ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
٢٦. تفسير القرآن العظيم - لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي - بتحقيق مصطفى السيد محمد وآخرين - مؤسسة قرطبة - الجيزة - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٧. تفسير القرطبي، المسمى بـ: الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - بتحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة: الثانية - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
٢٨. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - تحقيق خليل مأمون شيحا - دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٢٩. تفسير النسفي المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل - لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي - حققه يوسف علي بديوي - دار الكلم الطيب - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣٠. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل - للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلائي - تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٣١. التهذيب في التفسير - للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجشيمي - تحقيق عبدالرحمن بن سليمان السالمي - دار الكتاب المصري - القاهرة - ودار الكتاب اللبناني - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
٣٢. التوحيد - للإمام أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي - بتحقيق د. فتح الله خليف - الناشر دار الجامعات المصرية - الإسكندرية.

٣٣. التيسير في التفسير - للإمام أبي حفص نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي - بتحقيق ماهر أديب حبوش - ط دار اللباب - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
٣٤. دائرة المعارف الإسلامية - أ. جى . بريل - تحرير م . ت . هوتسما وآخرين - مركز الشارقة للإبداع الفكري - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣٥. رسالة إلى أهل الثغرى باب الأبواب - للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - تحقيق ودراسة عبد الله شاكر محمد الجنيدى - ط عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - ١٤١٣ هـ.
٣٦. الرسالة في نصيحة العامة - للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجشمي - ١٤٣٨ هـ.
٣٧. زاد المسير في علم التفسير - للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي - دار ابن حزم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٣٨. سنن ابن ماجه - للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني - بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي - ط دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.
٣٩. سنن أبي داود - للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني - بتحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرين - ط دار الرسالة العالمية - دمشق - سوريا.
٤٠. سنن الترمذي المسماة بـ: الجامع الكبير - للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي - بتحقيق د. بشار عواد معروف - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - ١٩٩٦ م.
٤١. الشافي في أصول الدين - للشيخ الإمام إسرائيل بن دمرك الحنفي - مخطوط.
٤٢. شرح الأصول الخمسة - للقاضي عبدالجبار بن أحمد - بتعليق أحمد بن الحسين بن أبي هاشم - بتحقيق د. عبدالكريم عثمان - الناشر: مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

- ٤٣ . شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - للعلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي - تحقيق أحمد محمد شاكر - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض - المملكة العربية السعودية.
- ٤٤ . شرح الناظم على الجوهرية؛ وهو الشرح الصغير؛ المسمى: هداية المرید لجوهرية التوحيد - للإمام برهان الدين إبراهيم اللقاني - حققه وضبط حواشيه مروان حسين البجاوي - ط دار البصائر - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٤٥ . شعب الإيمان - لإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - بتحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٤٦ . الشفا بتعريف حقوق المصطفى - أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء - لأحمد بن محمد بن محمد الشمي - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٤٧ . صحيح البخاري - لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري - تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر - الناشر: دار طوق النجاة - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ .
- ٤٨ . صحيح مسلم بشرح النووي - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي - مؤسسة قرطبة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- ٤٩ . الطبقات الكبرى - محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد - دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٥٠ . طبقات المعتزلة - أحمد بن يحيى بن المرتضى - بتحقيق مؤسسة سوسنة ديفشلد - فلزر - الطبعة الثانية - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٥١. عدة الأكياس المنتزع من شفاء صدور الناس في شرح معاني الأساس - للسيد أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي - ط مكتبة أهل البيت - صعدة - اليمن - الطبعة الأولى - ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.
٥٢. العقود الفضية في أصول الإباضية - الشيخ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي - مراجعة إبراهيم بن محمد العساكر - وزارة التراث والثقافة - سلطنة عمان - الطبعة الثانية - ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.
٥٣. العقيدة والشريعة في الإسلام - تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي - إجناتس جولد تسيهر - عربيه: د. محمد يوسف موسى وآخرين - ط مطابع دار الكتاب العربي بمصر - الناشر: دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد - الطبعة الثانية.
٥٤. عيون المسائل في الأصول - للقاضي أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الحاكم الجُشَمي - تحقيق ودراسة د. رمضان يلدرم - دار الإحسان للنشر والتوزيع.
٥٥. الغنية في أصول الدين - أبو سعيد عبدالرحمن النيسابوري - بتحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٧ م.
٥٦. الفائق في أصول الدين - ركن الدين محمود بن محمد الملاحمي الخوارزمي - بتحقيق د. فيصل بدير عون - ط دار الكتب والوثائق القومية - القاهرة - ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٥٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري - للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي - ط المكتبة السلفية.
٥٨. فتح القدير - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني - الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.
٥٩. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي - شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي - بتحقيق علي حسين علي - الناشر: مكتبة السنة - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٦٠. فجر الإسلام - أ. أحمد أمين - الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
٦١. الفرق بين الفرق - للإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي - بتحقيق مجدي فتحي السيد - دار التوفيقية للتراث - القاهرة.
٦٢. فرق الشيعة - الحسن بن موسى النوبختي - الناشر: دار الأضواء - بيروت - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٦٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل - للإمام ابن حزم الأندلسي الظاهري - مكتبة السلام العالمية - طبعة محمد علي صبيح - القاهرة - ١٣٤٨ هـ.
٦٤. فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة - أبو القاسم البلخي وآخرين - تحقيق فؤاد سيد - المعهد الألماني للأبحاث الشرقية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٣٩ - ٢٠١٧ م.
٦٥. الفقه الأكبر - للإمام أبي حنيفة النعمان - الناشر: مكتبة الفرقان - الإمارات العربية - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٦٦. الفلسفة الشرقية - د. محمد غلاب - ص ٢٠١ - مطبعة البيت الأخضر - القاهرة - ١٩٣٨ م.
٦٧. فهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنّفوه من الكتب في سائر العلوم - لأبي الفرج محمد بن إسحاق النديم - مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - لندن - ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٦٨. في الفلسفة الإسلامية - منهج وتطبيقه - د. إبراهيم مذكور - ط دار المعارف - القاهرة.
٦٩. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة - بتحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهبان - الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض - الطبعة الخامسة - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٧٠. كتاب المقالات ومعه عيون المسائل والجوابات - أبو القاسم البلخي - تحقيق د. حسين خانصو وآخرين - دار الفتح - عمان - الأردن - الطبعة الأولى - ١٤٣٩ - ٢٠١٨ م.

٧١. الكليات - لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٧٢. لسان العرب - للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري - ط دار صادر - بيروت.
٧٣. متشابه القرآن - للقاضي عبد الجبار بن أحمد - تحقيق د. عدنان محمد زرزور - ط دار التراث - القاهرة.
٧٤. مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري - من إملاء الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك - عني بتحقيقه دانيال جيماريه - دار المشرق - بيروت - لبنان - ١٩٨٧ م.
٧٥. مجموعة الرسائل والمسائل - تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - علق عليه: السيد محمد رشيد رضا - الناشر: لجنة التراث العربي.
٧٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر - لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي - اعتنى به وراجعه كمال حسن مرعي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
٧٧. المستدرک علی الصحیحین - أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري - دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
٧٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل - بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين - ط مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٩ - ١٩٩٩ م.
٧٩. مسند أبي داود الطيالسي - أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود - بتحقيق د. محمد بن عبد المحسن التركي - الناشر: دار هجر - مصر - الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٨٠. مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم - الشيخ أحمد بن الحسن الرصاص - بتحقيق د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني - مكتبة بدر - صنعاء - اليمن - الطبعة الثانية - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
٨١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي - الناشر: المكتبة العلمية - بيروت - لبنان.
٨٢. معالم أصول الدين - للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي - بتحقيق طه عبد الرؤوف سعد - الناشر: دار الكتاب العربي - لبنان.
٨٣. المعجم الكبير - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني - بتحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي - مكتبة ابن تيمية - القاهرة - الطبعة الثانية.
٨٤. مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم - لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.
٨٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري - عنى بتصحيحه: هلموت ريتز - الناشر: دار فرانز شتايز - مدينة فيسبادن - ألمانيا - الطبعة الثالثة - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
٨٦. مقالة عن الجماعة والفرق - مونجمري وات - ترجمة ناهد جعفر - مجموعة مقالات الإسلام المبكر ١٩٩٠م.
٨٧. الملل والنحل - للإمام أبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني - بتحقيق أ. عبدالعزيز محمد الوكيل - ط دار الاتحاد العربي للطباعة - الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م.
٨٨. المنية والأمل - للقاضي عبدالجبار الهمذاني - جمعه أحمد بن يحيى المرتضى - بتحقيق د.

- عصام الدين محمد علي - دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر - الإسكندرية - ١٩٨٥ م.
٨٩. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - المعروف بالخطط المقرئية - لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئ - وضع حواشيه خليل المنصور - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٩٠. ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة - السيد الأمير الحسين بن بدر الدين - حققه د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني - مكتبة بدر - صنعاء - اليمن - الطبعة الثانية - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.



## فهرس الموضوعات

## المحتويات

٨٤٧	..... الملخص
٨٤٩	..... المقدمة
٨٥١	..... المبحث الأول: التعريف بالمعتزلة
٨٥١	..... أولاً: تعريف المعتزلة لغة
٨٥١	..... ثانياً: تعريف المعتزلة اصطلاحاً
٨٥٢	..... ثالثاً: سبب تسميتهم بالمعتزلة
٨٥٧	..... رابعاً: تاريخ المعتزلة
٨٦١	..... خامساً: أصول المعتزلة
٨٦٤	..... المبحث الثاني: تعريف الشفاعة، وأقسامها
٨٦٤	..... المطلب الأول: تعريف الشفاعة
٨٦٥	..... المطلب الثاني: أقسام الشفاعة
٨٧٣	..... المبحث الثالث: رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر
٨٧٣	..... تمهيد
٨٧٤	..... المطلب الأول: رأي المعتزلة في الشفاعة لأهل الكبائر
	..... المطلب الثاني: أدلة المعتزلة وشبهاتهم على رأيهم في نفي الشفاعة عن أهل الكبائر والرد عليها
٨٨١	.....

- أولاً: أدلتهم النقلية على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر ..... ٨٨١
- ثانياً: أدلتهم العقلية على نفي الشفاعة عن أهل الكبائر ..... ٨٩٢
- المبحث الرابع: إثبات الشفاعة لأهل الكبائر، والدليل عليها ..... ٨٩٦
- أدلة أهل العلم العقلية على إثبات شفاعة النبي لأهل الكبائر ..... ٩٠٨
- الخاتمة ..... ٩١٠
- فهرس المصادر والمراجع ..... ٩١٢
- فهرس الموضوعات ..... ٩٢٣